الصفات الممدوحة والمذمومة
رؤية ثقافية من خلال سورة القلم

إعـــــداد

أ/ شذى بنت خالد الصاعدي
درجة الماجستير تخصص الثقافة الإسلامية

الصفات الممدوحة والمذمومة رؤية ثقافية من خلال سورة القلم

أ/ شذى بنت خالد الصاعدي*

مستخلص:

بَنيَّ البحث على منهج استنباط الصفات الممدوحة والمذمومة من سورة القلم، وينصب الهدف الأساسي له بعرضها عرضاً ثقافياً، في رحاب السورة الكريمة، ومن ثم عرض الوسائل الثقافية المِساعِدة على غرس القيم الأخلاقية في ضوء السورة. وقَّسِم البحثً بِحسب طبيعةِ الموضوع إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثِة مباحث، وخاتمة وفهارس. ومن أهم النتائج: الاعتناء بزرع القيم الأخلاقية المستقاه من كتاب الله تعالى، يولد جيلاً متمسكاً بالثقافة الإسلامية، منشأً لمجتمع صلب لا يهتز.

* **شذى بنت خالد الصاعدي:** درجة الماجستير تخصص الثقافة الإسلامية.

مقدمة:

الحمد لله الذي أهدى للقلوبِ الطريق الصحيحَ المِستقِيم، وأنارَ العُقول بالفِكرِ الفطريَّ السليم، نحمده على جُلَّ نِعمه وكرم عطاءه، ونستغفرُه من كُلِ زلةٍ وخطأ، فإن سامح فبفضله، وإن عاقب فبِعدلِه.

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا مُحمدِ عبدالله ورسوله، المصطفى بالدين الخاتم والكتاب المِعجز.

وبعد...

إن كِتاب الله سبحانهُ وتعالى هو الضمان الثابت الذي يحفظ للأُمة الإسلامية هويتها الأخلاقية فإذا أُلغي الخُلُق؛ أُلغي الإيمان، فيَصبح الدين من غير خلق مجرد عادات وتقاليد، لقول ابن القيم[١]: "الإيمانُ هو الخلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الإيمان" (أبو شنار، أحمد محمد، ط١، ص٢٧٦).

ثم عن حقيقة الرُقي الاخلاقي تُقاس في مدى القرب والبعد من تطبيق ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، لحديث: "تركتُ فِيكُم أمرين لن تَضلوا ما تمسكتُم بهما، كتاب الله وسنة نبيه"(مالك بن أنس، موطأ الامام مالك، كِتَابُ القدر، ط١، بيروت، دار النفائس، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص٦٤٨).

ولا شك في أن السبب خلف أي انحراف في السلوك، يكمن مصدره الرئيس من الفساد الأخلاقي؛ ذلك لأن الأخلاق هي المِستقى الأساسي لتزكية النفس، والواجهة الأولى لبناء حضارةٍ متينه، وثقافةٍ إسلامية، لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩]

لهذا عُنيت الدراسات الإسلامية بالتأصيل والحث على الدراسة في مجال الأخلاق الواردة في سور القرآن الكريم.

فجاءت مقاصِدُ سورة القلم مُتضمِنةً على الكثير من الصِفّات الأخلاقية، سواء أكانت بالذم فيها أو بالحث عليها، إذ يُعتبر الخُلق من أهم موضوعاتها، حتى قال شيخ الإسلام ابن

---

(١) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الدمشقي، ولد سنة ٦٩١هـ، تقنن في علوم الإسلام، وكان عارفا بالتفسير وبأصول الدين والحَدِيث ومعانيه وفقهه وبالعربية وتعلم الْكِلام والنحو وغير ذَلِكَ، حبس مدة، لإنكار شدة الرحال إِلَى القبور، وَكَانَ فِي مدة حبسه مشتغلا بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر وصنف تصانيف كثيرة جدا فِي أنواع العلم، وكان شديد المحبة للعلم، توفي رحمة الله في ٢٣ من شهر رجب ٧٥١هـ)، يُنظر: ابن رجب الحنبلي، زين الدين، ذيل طبقات الحنابلة، ط ١، (الرياض، مكتبة العبيكان)، ٥/١٧١-١٧٦، تصرف.

تيمية[٢] فيها: "سورة ن هي سورة الخُلق الذي هو جماع الدين الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم" (الإمام ابن تيمية، دقائق التفسير الجامع، ط٢، مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٤هـ، ١٤/٥)

ونجِدُ في مطلع سورة القلم ثناء ومدح من الله جل وعلا لنبيه محمد، لا لنسبه أو لشكله؛ بل لأخلاقه، فلا وصف أعظم مما وصفه الله به، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]

وما ورد في السورة الكريمة من صفات لأشخاص معنييَّن بعينهم، لا يمنع من ذم كل من يتصف بتلك الصفات المذمومة من غيرهم، فالذم هنا للتنفير من الخلق الذميم وتعيين الشخص فيها جاء لغاية أخذ العِظة والعِبرة وهذا ما اختتمت به السورة الكريمة، في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [القلم: ٥٢]، لأن ما جاء به القرآن الكريم صالح لكل الأزمنة.

وشعوراً من الباحثة بأهمية مقاصد سورة القلم الأخلاقية، ورغبةً في ابراز ما جاءت به من قيم أخلاقية، جاءت فكرة هذا المشروع البحثي، المقدم بعنوان: (الصفات الممدوحة والمذمومة رؤية ثقافية من خلال سورة القلم).

أهمية موضوع البحث:

وفرة المادة العلمية في سُورِة القلم التي جاءت مُفعمةً بالصفات الأخلاقية، فكان حصرها موضع اهتمام وعرض لمعانيها الثقافية.

أمر الله سبحانه وتعالى بإتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم فمن هديه عليه الصلاة والسلام أنه كان يتعاملُ بأخلاقه، كما قالت عائشة – رضي الله عنها– حينما سُئلت عن أخلاقه صلى الله عليه وسلم: "كان خُلُقه القرآن" الامام الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط٢، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، ٣٤٧/٤)

إن مسألة الأخلاق هي الأساس الأول لقيام المجتمع على قاعدةٍ متينةٍ لا تهُزُها التغيرات الزمنية، وتحفظ للشعب حقوقه فيها.

---

(٢) تقيُّ الدين، الإمام أحمد بن عبدالحليم بن أبي القاسم الخضر بن تيمية، شيخ الإسلام، ولد بحرَّان يوم الاثنين عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة، حفظ القرآن، ثم أقبَل على الفقه، وأقبل على التفسير إقبالًا كليًّا، حتى حاز فيه قَصَب السَّبْق، وأحْكَم أصول الفقه، وغير ذلك. هذا كله وهو بعدً ما بلغ ابن بضع عشرة سنة، توفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، معتَقَلًا بالقلعة)، يُنظر: العمران، على بن محمد بن حسين، تكملة الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون، ط١، (مكة، دار علام الفوائد)، ١/ ٣٧–٥٣، بتصرف.

قضى اللهُ سبحانه وتعالى أن يكون الرُقي الأخلاقي السِّمَة البارِزةَ في الدين الإسلامي فالأخلاق هي إحدى أُصول الأربعة، وهي على الترتيب: (الإيمان والأخلاق والعبادات والتعاملات) (الامام الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، ٣٤٧/٤)

حاجة البحث العلمي غلى أن تُعنى الدراسات البحثية بمجال الأخلاق المُستنبطةِ من سور القرآن الكريم، والأخذ بما ترمي إليه من مقاصد سلوكية.

أهمية البحث:

- الإسهام في الكتابة الثقافية المبنية على المنهج العلمي الجاد في الصفات التي رغَّب الله سبحانه وتعالى فيها، والصفات التي حذر من الوقوع فيها، المُستخرجة من سورة القلم خاصة.
- استنتاج صفات المتقين، وثمرات تقوى الله، من بين ثنايا السور الكريمة.
- بيان أبرز مواطن العدل الإلهي الوارد ذكرها في سورة القلم.
- بيان أبرز مواطن أمر الله تعالى، بالتأني في سورة القلم.
- بيان منهج الله سبحانه وتعالى في فضح المكذبين له، من خلال ما جاء في سورة القلم.
- استنباط أوصاف الحلاَّف، من خلال تفسير العلماء لوصف الله تعالى له بالمهين.
- بيان صور الهمز بالنميمة، من خلال القصص الوارد ذكرها في سورة القلم.
- بيان صور البخل من خلال بيان حال من نزلت فيهم الآيات.

حدود البحث:

الموضوع: وهو خاص بالثقافة الإسلامية من الجانب الأخلاقي، ويتناول الصِّفات الممدوحة المذمومة ووسائل تعزيزها من سورة القلم فقط.

المصدر: وهو المستسقى الأول التي يأخذ البحث منها مادته، وهما القرآن الكريم والسنة النبوية.

الحدود الزمانية: الفصل الدراسي الثاني، للعام ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م.

الحدود المكانية: المدينة المنورة– جامعة طيبة – الدراسات العليا – قسم الثقافة الإسلامية.

الدراسات السابقة:

نظراً للإعجاز الموجود في سورة القلم وأهميةُ مقاصدها، كثُرت الرَّسائِلُ العلمية والدرَّاسات في البحث بالإعجاز الموجود فيها، كُلاً بحسب توجهُ مجاله، غير أن الجانب التربوي للصِّفات الموجودة فيها يحتاج إلى المزيد من الدِّراسة في مجال الثَّقافة والتربية الإسلامية، فبعد البحث تبيَّن للباحثة وجود رسالة علمية واحدة تناولت سورة القلم من الجانب التربوي، هي:

"**المضامين التربوية المستنبطة من سورة القلم وتطبيقاتها التربوية**"

(الدبيسي، عبدالرحمن سليمان بركات، ٢٠١٠م)

هدفت هذه الدراسة بشكل عام إلى بيان المضامين التربوية المستنبطة من سورة القلم، الجانب العقدي والتعبدي والأخلاقي والاجتماعي، ثم توضيح لأبرز الأساليب التربوية المستنبطة منها. ويشترك بحث "المضامين التربوية..." مع الباحثة في بحثها "الصفات الممدوحة..."في استنباط أساليب الحوار الموجودة في سورة القلم، لكِّن الفارق بينهما، أن في البحث الأول جاء مفصلاً لأساليب الحوار تفصيلاً يتضمن الكثير من الجوانب الحياتية، بينما اكتفت الباحث بالجانب التربوي لتعزيز الأخلاق.

ومن الدراسات التي تناولت سورة القلم في المجالات العلمية الأخرى:

"**الجانب الخلقي من سورة القلم**":

(الدوسري، إبراهيم بن سعيد بن حمد، الرياض، ١٤٢٠هـ).

وتأتي هذه الدراسة إسهاماً في إبراز هدايات القرآن الكريم في مجال الأخلاق من خلال سورة القلم، بدأها المؤلف من خلال بيان مفهوم الخلق ثم ذكر سبب نزول السورة، ثم ذكر المقصد من موضوعات السورة، ثم عرض معاني السورة وذكر ملامحها الأخلاقية، ومن ثم تناول الأسس الأخلاقية في سورة القلم (المعرفة والتربية والسلوك)، واختتمها بخاتمة تضمنت أهم نتائج الدراسة.

"**الاعجاز البلاغي في سورة القلم**":

(د.عبدالله، هناء عابدين، مصر، ٢٠٠٧م)

اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تناولت اسم السورة ومناسبتها لما قبلها في الترتيب النزولي وأسباب النزول وآراء المفسرين في مكيتها أو ممدنيتها، ثم وضحت ما في السورة من موضوعات ثم تناولت آيات السورة بالتفسير والتحليل البلاغي، فذكرت المعنى العام الذي تدور حوله آيات هذه السورة كل آية أو مجموعة آيات على حدة.

ثم فصلت القول في الأسرار البلاغية التي ذكرت في السورة موضحة وجه جمالها وتمكنها من مكانها وتأديتها للغرض منها سواء كان ذلك الغرض متعلقة بالمعاني أو البيان أو البديع.

١-"البلاغة القرآنية في سورة القلم":

(د. حسان، رمضان محمد محمود، القاهرة، ٢٠٠٩م)

تناول فيه الباحث ابراز الجانب البلاغي لسورة القلم، ذكر فيه تمهيداً اشتمل على اسمها ومتى نزلت، ومقاصدها وأهدافها العامة، ومناسبتها لما قبلها، وقد قسم البحث إلى أربع فقرات تضم كل فقرة مجموعة من الآيات التي تتحدث عن قصة أو درس من دروس السورة.

٢-"موضوعات علم المعاني في سورة القلم: دراسة بلاغية":

(د.العتيبي، سارة، دراسة بلاغية، جامعة شقراء، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠١٨م)

تناولت هذه الدراسة نظم السورة بدءاً بالجزء ثم توسع البحث فبدأ بالجملة وانواعها وعلاقاتها الداخلية من تقديم وتأخير وحذف وذكر وتعريف خبر وانشاء، ثم بعد ذلك نُظِر في تراكيب الجمل من وصل وفصل وايجاز واطناب ومساواة، وتم التعريف بكل من فنون علم المعاني صادف الباحثة في السورة، لكنها اكتفت بذكر بعض الشواهد ولم تتطرق في شواهد الفن البلاغي في جميع السورة.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

- الأخلاق الحَسنة هي بدايةَ بِناء حضارةٍ إسلاميةٍ متينةٍ وثابتة، فما هي الأخلاق الممدوحة المُستخرجة من سورة القلم؟
- بدأ الله سبحانه وتعالى بالأمر (فلا تُطع) عندما جاء ذكر صفات الذَّم في آيات السورة الكريمة، فما هي الصفات المُذمومة التي نهانا اللهُ سبحانه وتعالى عنها؟
- تميز المنهج الالهي في سورة القلم بأساليب تعليميةً مُحكمة، فكيف أدتْ هذه الأساليب دورها في تعزيز القيم الأخلاقية؟
- تبرُر أهمية الحوار في مدى تحقيقه نتائج من خلاله، فما هو الضابط الأهم المستنبط من الحوارات الواردة في سورة القلم، للوصول إلى الهدفِ من الحوار؟

منهج البحث:

- **المنهج الاستنباطي:** وهو استخراج المعاني وإظهارها من خلال النصوص المختلفة (الدغيمي، محمد راكان، أساليب البحث العلمي ومصادر الدراسات الإسلامية، ط٢، (عثمَّان، مكتبة الرسالة ١٤١٧هـ)، ص٨٨) وهذا ساعد الباحثة في استخراج المعاني من خلال القرآن الكريم وسورة القلم خاصةً، والإفادة منها للتوصل إلى حقائق مُستنبطة من خِلال رؤية هذِه الصَّفات من الجانب الثقافي العائد على المجتمع.

-**المنهج الوصفي التحليلي:** وهو المنهج الي يقوم على تحليل ووصف ما حصل عليه الباحث من معلومات تحليلاً كميًا، أو تحليلاً كيفيًا (العساف، صالح حمد، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، ط١، (الرياض، شركة العبيكان، ١٤٠٩) ص٢٠٦).

وهذا أعان الباحثة على استنباط الصَّفات الموجودة في سورة القلم وتصنيفها وتحليلها، ومن ثم إسقاطها إسقاطًا ثقافيًا.

خطة البحث:

تم تقسيم هذا البحث إلى تمهيد وثلاثةٍ مباحث وخاتمة وفهارس، هي كالآتي:

- **تمهيد،** وفيه: التَّعريف بمصطلحات عنوان البحث: مصطلح الصَّفات، مصطلح الممدوحة، مصطلح المذمومة.
- **التَّعريف بسورة القلم:** التعريف بالسورة وسبب النزول، أسمائها، محاورها، أهدافها، العلاقة بين بداية السورة وختامها.
- **المبحث الأول:** الصَّفات الممدوحة في سورة القلم في ضوء الثقافة الاسلامية: التقوى، العدل، التأني.
- **المبحث الثاني:** الصِّفات المذمومة في سورة القلم في ضوء الثقافة الإسلامية: الكذب وكثرة الحِلف، الهماز المشاء بالنميمة، البخل، الظلم.
- **المبحث الثالث:** وسائل التعليم والقيم الثقافية المستنبطة من سورة القلم: المنهج التعليمي في سورة القلم، وسيلة الحوار في سورة القلم وأثرها في تعزيز القيم الثقافية.
- **الخاتمة، وتحتوي** على: أهم النتائج، أهم التوصيات، فهرس المصادر والمراجع

تعريف بمصطلحات عنوان البحث:

- **التعريف اللغوي للصفات:** تُعرّف الصَّفات في اللُغة على أنها: جمع صِّفة، مصدر من الفعل وَصَفَ، والوصف يتعلق بالواصِف، أما الصِّفة فهِي خاصة بالموصُوف.

وَصَفَ الشيء له وعليه وصفاً. وَصِفهُ: حَلاهُ، وقيل: الوَصْف من المصدر والصَّفَةُ الحِلْيةُ. وأما النَّحوِيين فليسَ يُرِيدون بالصِّفة هذا لأن الصِّفة عندهم هي النِّعْتُ... (ابن منظور، لسان العرب، ط٣، (دار صادر، ١٤١٤هـ)، ٣٥٦/٩)، وَصِفةُ: نعَتهُ بما فيه. (مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ط٥، (دار الدعوة،٢٠٢٢م)، ٢/ ١٠٣٦)

- **التعريف الاصطلاحي:** والصِّفة اصطلاحاً: "الأمارة اللَّازِمة للشَّيء" (الرازي، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، (دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م)، ١١٥/٦.)

وبهذا تستشف الباحثة أنَّ الصفة هي: كُلُ ما أمكن ذِكرهُ فِي الأشياء الموصُوفة من علامات تُميزَها، سواء أكانت حِسية كالبياض والسُمْرة، أو معنوية كالحِلم والغضب.

ألفاظ ذات صلة بالصِّفة:

النعَّت: "النَّعت فيما حكى أَبو العلا (الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، سير أعلام النبلاء، ط٣، (موسسة الرسالة)، ١٨/٢٣-٢٤) – رحمة الله – "لما يتغير من الصِّفات وَالصفة لما يتغَير ولما لا يتغير فالصِّفة أَعم من النَّعت" (أبو هلال العسكري، الحسن بن عبدالله مهران، الفروق اللغوية، (مصر – القاهرة، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع)، ٢/٣٠)

الحال: أَن الصّفة تفرق بَين اسْمَيْنِ مشتركين فِي اللَّفْظ وَالْحَال زِيَادَة فِي الْفَائِدَة وَالْخَبَر (ابو هلال العسكري، الفروق اللغوية ٢/٣١).

التحلية: أَن التحلية فِي الأَصْل فعل الْمحلي وَهُوَ تركيب الْحِلَة على الشَّيْء مثل السَّيْف وَغَيره، واستعمالها فِي غير القَوْل مجَاز وَهُوَ أَنه قد جعل مَا يعبر عَنهُ بِالصّفةِ صفة (أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية المرجع السابق ٢/٣١)

مصطلح (الممدوحة):

التعريف اللغوي للمدح: مصدر مَدَحَ، والمِمَادح هي المِحاسِن التي تُكر في المدح(المعجم الوسيط، ٢/٨٥٨)، مَدَحَه كَمَنَعَه مَدحًا ومِدحَةً: أحسَنَ الثَّناءَ عليه، والمِديحُ والأُمْدُوحَةُ ما يمُدَحُ به، جمعُه: مَدائِح، وأَماديح (الفيروز آبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، ط٨، (لبنان-بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م)، ١/٢٠٤.)

"الميم والدال والحاء أصل صحيح يدل على وصف محاسن، بكلام جميل، ومَدَحَهُ يَمْدَحُهُ **مَدْحًا:** أحسن عليه الثناء، والأمدوحة: المدح" (الرازي، معجم مقاييس اللغة، ٥/٣٠٨)

"**المدح:** الثناء الحسن. وقد مَدَحَهُ وامْتَدَحَهُ بمعنًى، وتَمَدَّحَ الرجل: تكلف أن يمدح. ورجلٌ **مُمَدَحٌ**، أي: ممدوح جدًّ"(الرازي، زين الدين، مختار الصحاح، ط٥، (بيروت- صيدا، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، ١٤٢٠هـ١٩٩٩م)، باب الميم/٢٥٨)

التعريف الاصطلاحي: المِدح هو: الثَّناء بِاللِّسان على الجمِيل مُطلقاً سواء كان من الفواضل أو من الفضائل، واسواء كان اختياريا أو غير اختياري(الكفوي، أيوب بن موسى، الكليات، (بيروت، مؤسسة الرسالة)، ص٨٥٧)

المدح هو: عد المآثر والمناقب، والمدح بالوصف الجمِيل يُقَابله الذَّم (الكفوي، الكليات، ص٨٥٧)

وبهذا تستنتج الباحثة أن المدح اصطلاحاً يُعرف بأنه:

الإخبَار عن محاسِن الموصوف والزيادة في الثناء عليها بما فيها من خِصال حَمِيدة وفضائل، سواء كانت أقوال أو أفعال أو صفات حسيةٍ أو معنوية.

ألفاظ ذات صلة بالمدح:

الثناء: مدح مكرر من قَولك ثنيت الخَيط، وثنَّيته بِالتشديد إِذا أَضفت إِليه خيطاً آخر. أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ٥١/٢)(

التقريظ: أن المِدْح يكون للحي وْالْمَيِّت والتقريظ لَا يكون إِلَّا للحي، وأصل التقريظ من الْقرظ وهو شيء يُدبغ بِهِ الأَدِيم (المعجم الوسيط، ١٠/١)، وَإِذا دبغ بِهِ حسُن وصلُح، وزادت قِيمَته، فَشبه مدحك للإِنسَان الحيي بذلك كأنك تزيد فِي قِيمَته بمدحك إِياه، وَلَا يَصح المعنى في الميت (أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ٥١/٢).

الإطراء: أن المدح في الوجه ومنه قولهم: الإطراء يُورث الغفلة، يُرِيدونَ المدح في الوجه والمدح يكون مُواجهَة وَغير موَجهَة (أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ٥١/٢)

التعظيم: التَّعظيم: التَّبجيل(الرازي، زين الدين، مختار الصحاح،١/ ٢٥،)، ففيه ما يُوقْعُ في النفوس شيئاً من التوقير الهيبة، لذا يُعد أعلى منزلة من مجرد المدح.

التمجيد: المجد: المجد: نَيلُ الشَّرفِ، والكرم(الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ١/ ٢١٨)، **ومَجَّدهُ:** عظَّمه وأثْنى عليه(الفيروز آبادي، القاموس المحيط: ٣١٨/١).

التوقير: التوقير يستعمل فِي معنى التعظِيم يُقَال وقرته إِذا عَظمته(أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ٢٠٣/١)

مصطلح (المذمومة):

- **التعريف اللغوي للذم:** الذَمُّ: نقيض المدح. يقال. ذممته فهو ذميم، وشيء مذم أي: معيب. (الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، ط٤، (١٤٠٧هـ – ١٩٨٧ م)، ١٩٢٥/٥) فيقال: ذممتهُ أذمه ذماً، فهو مذمومٌ وذمِيمٌ(الاصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ط١، (دمشق– بيروت، دار القلم، ١٤١٢هـ)، كتاب الذال/٣٣١).
- **التعريف الاصطلاحي:** من خلال البحث تعذر على الباحثة وجود مصادر تعريف اصطلاحي للذم، ومن خلال ما سبق من تعريفه لغةً، يمكن ان تستشف تعريفه بأنه: الإخبار بمساوئ المذموم، مع الزيادة في بغضها والتنفير منها.

– ألفاظ ذات صلة بالذم:

الهجو: الفرق بَين الهجو والذم أَن الذم نقيض الحَمد وهما يدلان على الفِعل وَحمد المُكلف يدل على استحقاقه للثواب بفعلهِ وَذمَّة يدل على استحقاقه للعقاب بِفِعلِهِ، والهجو نقيض المِدح وهما يدلان على الفِعل وَالصفَّة كهجوك الإِنسَان بالبخل وقبح الوَجه.(أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ٥٢/١)

اللّوم: أَن اللَّوم هُوَ تنبيه الفاعِل على موقع الضَّرَر فِي فعله وتهجين طَرِيقَته فِيهِ، وَقد يكون اللَّوم على الفِعل الحسن كاللوم على السخاء، والذم لَا يكون إِلَّا على الْقَبِيح.(أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ٥٢/١)

التَّعريف بسورةِ القلم:

التَّعريف بالسُّورة وسبب النزول:

هي السُورة الثامِنة والسُتون في ترتِيب سُوَرِ القرآن الكريم، مكية النزول، وعدد آياتها إثنانِ وخمسُون آية، نزلت بعد سُورة العلق، "سورة العلق أوّل ما نزل من القرآن، فيكون نزول سورة القلم فيما بين إبتداء الوحي والهجرة غلى الحبشة" (جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور، ط١، (بيروت، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ١٤٢٠هـ)، ١٠٣/١٠)، أي أنها ثاني السور في الترتيب النُزولي، ومن الجدير بالذِّكر أنه لم يَرِد في آياتها لفظ الجلالة، وهذا فيه تفصيلٌ من جانب الاعجاز العلمي في القرآن الكريم، لتناسب مجموع عدد ذكر لفظ الجلالة في السور فردية الآيات، مع ورودها في السور زوجية الآيات(أرشيف ملتقى أهل التفسير، ترتيب سور القرآن توقيفي والدليل سورة القلم.).

وفيما ذُكِر في الآثار الوارِدة عن سبب نزولها فهي لا تِدُل على سبب نزولٍ موحد شامل للسورة، وإنما أسباب متعددة تخص آياتٍ منفردة فيها، وجاء في تفسير القرطبي أن: "مُعظَمُ السُّور نزلت في الوليد بن المغيرة(الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الإعلام، ط١٥، (دار العلم للملايين)، ٨/ ١٢٢، تصف باختصار) وأبو جهل (يُنظر: الزركلي، الإعلام، ٨٧/٥، تصرف باختصار)"(القرطبي، الجامع لأحكام القرآن – تفسير القرطبي، ٢٢٩/١٨).

ثانيًا– أسمائها:

سورة القلم: نظرًا لقسم الله تعالى بالقلم في بدايتها: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم:١] ذلك أن أول ما خلق الله هو القلم، فسُميت به تعظيمًا له، من هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن أول ما خلق الله القلم... "(سنن أبي داؤود، ح ٤٧٠٠، كتاب السنة، باب في القدر، ٣٦٢/٤، صححه الترمذي، تهذيب التهذيب، ٦٣١/١).

سورة ن: لإبتدائها بحرف النون، وقيل "اسُم السُّورة" (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن– تفسير القرطبي، ٢٢٤/١٨)، جاء في أول هذه السورة الإيمَاءُ بالحرفِ الذي في أولهَا إلَى تحدي المعاندينَ بالتعجيز عن الإتيانِ بِمثْلِ سُوَرِ القُرآنِ(ابن عاشور، محمد الطاهر التونسي، التحرير والتنوير، (تونس، الدار التونسية للنشر)،٥٨/٢٩).

سورة الخلق: لِقولِ ابن تيَّمِيةَ في هذا: سورة "ن" هي سورة الخُلق الذي هو جماع الدين الذي بعث الله به محمد صلى الله عليه وسلم" (الامام ابن تيمية، دقائق التفسير الجامع، ١٤/٥)

محاورها:

دَراتَ سُورةُ القلمِ في خَمسةِ محاور رئيسية، هي كالاتي:

- ابتدئت بخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، تأنيساً له عما لقيه من أذى من المشركين.
- إبطال مطاعن المشركين (النسفي، عبدالله بن أحمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ط١، (بيروت، دار الكلم الطيب)، ٥١٨/٣) في النبي صلى الله عليه وسلم.
- الانحناء على زُعماء المشركين مثلِ أبي جهلٍ والوليد بن المغِيرة بمذمَّاتٍ كثيرةٍ وتوعَّدهُم بعذابٍ الأخِرة.
- ضَرَبَ لَهُمْ بِقصة أصحاب الجنة(الطبري، محمد بن جرير الآمالي، جامع البيان، ط١، (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م)، ٥٤٣/٢٣) إذ غرهم عِزَّهم وثراؤُهم، فَأَزَالَ اللهُ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَ اَبَادَ نِعْمَتَهُمْ.
- ذكر عصمة الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم، من اذى المشركين (النسفي، المرجع السابق، ٥٢٧/٣).
- أَمَرَ الله تعالى رَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم بِالصَّبر في تبليغِ الدَّعوة، وألا يضجر كما في قصة نبيه يُونس(النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ٥٢٦/٣) عليه السلام.(ابن عاشور، المرجع السابق، ٥٨/٢٩–٥٩، بتصرف)

أهدافها:

من أبرَز المقَاصِد التي جَاءَت بِها سُورة القلم:

- الحث على العِلم، من خلال تضمَّنها "تشرِيف حُروف الهجاء والكِتابة وَالعلم لتهيئة الأمةِ لخلع دثار الأمية عنهم وإقبالهم على الكتابة والعِلم"(ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٩/ ٥٩).
- التخلق بالخلق العظيم (ابن عاشور، ٦٤/٢٩)، فكما جعل الله رسولهُ صلى الله عليه وسلم على خُلقٍ عظيم، "جعل شرِيعته لِحَملِ النَّاس على التَّخلق بالخلقِ العظيم بمُنتهى الاستِطاعَةِ" (ابن عاشور، ٦٤/٢٩))
- تحذير الله تعالى للمؤمنين من الوقوع في جحد النعمة، من خلال وعظمُهم بأنَّ ما هُم فيه من النِّعمة استدراجٌ وإملاءٌ جزاءَ كيدهَم(ابن عاشور، المرجع السابق، ٥٩/٢٩).
- الحث على الصَّبر في طَرِيقِ الدَّعوةِ إلى الله مهما كانت الصَّعاب، وعدم اتباع ما فعل يونس عليه السلام مع قومِهِ حين غَضِبَ مِنهُم(ابن عاشور، المرجع السابق، ٥٩/٢٩)

- التأكيد على أن الدين الإسلامي جاء متناسباً مع كل الازمان، وكل الاجناس.

العلاقة بين بداية السورة وختامها:

- جاء في نهاية السورة قولة تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۝﴾ [القلم:٥٢]، وهذا بيانٌ لأمة الإسلامية بأن الدين الإسلامي رسالةٌ عالمية لا تختص بها فئة عن غيرها، ففيها دعوة إلى تأدية تبليغ الدعوة إليه، ولن يتم هذا التبليغ إلا بأمرين أوضحتهما السورة في مطلعها كالآتي:
- التقدم العلمي، من قوله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]، "أقسم به لما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوضف" (النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ٥١٨/٣)، وفي هذا إشارة إلى أهمية العلم من خلال الحث على الكتابة والتعلم.
- الرُّقي الأخلاقي، في قله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، فعرض الله تعالى خلق النبي صلى الله عليه وسلم، للحث على أنه من أبرز الوسائل التي أعانت النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغ دعوته، على الوجه الأكمل.
- الصفات الممدوحة في سورة القلم في ضوء الثقافة الإسلامية

تعريف التقوى لغةً واصطلاحاً:

التقوى في اللغة: اتَّقى بالشَّيْء جعلهُ وقايةً لَهُ من شَيْء آخر(مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، باب الواو، ١٠٥٢/٢)، ومعنى إتق الله أي: أجعل بينكَ وبين عذاب الله حاجز، وأصل الاتقَاء: الحجز(ابن الهائم، أحمد بن محمد أبو العباس، التبيان في تفسير غريب القرآن، ط١، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٣هـ)، ص٤٧)، وتأتي بمعنى: الحذر (القحطاني، سعيد بن علي، نور الهدى وظلمات الضلال في ضوء الكتاب والسنة، (الرياض، مؤسسة الجريسي) ١/ ٣٢١) فالمفهُوم اللغَّوِي للتَّقوى يَدُور حَولَ: الوِقايةِ، والحَاجِز، والحذر، والمتُّقي: من يَقِي نفسهُ عن تعَاطِي ما يُعاقَب عليه مِن فِعلٍ أو تَرك(ابن الهائم، ص٤٧).

والتَّقوىَ في الاصطلاح الشرعي يَقومُ جوهرها على: الحَذر من الوقُّوع فِيما نَهى الله عنه والعَمل بِما أوجَبهُ، "وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه مما يضره في الآخرة" (البيضاوي، ناصر الدين، انوار التنزيل واسرار التأويل، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ)، ١/ ٣٦) وقال النووي: وهذه كلمة جامعةُ لِفعل ما أمر الله به وترك ما نهى اللهُ عنه هذه هي التقوى"(بن عثيمين، محمد بن صالح، شرح رياض الصالحين، ط١٤٢٦هـ، (الرياض، دار الوطن للنشر)، باب حسن الخلق، ٥٦٧/٣)

كما أن هناك للتقوى دِلالاتٍ تربويةٍ، تهدفُ في مُجملِها غلى ضبطِ النَّفس وتهذيبها، من منطلق قوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، كما عرفها د: على القريشي: "حالة روحية قوامها الاستشعار الدائم بأن الله تعالى رقيب على كل شيء" (د.علي القريشي، التقوى وإشكالات الاختلاف والوحدة في الإطار الإسلامي: دراسة تربوية)

إذاً تُعرَّف التقوى اصطلاحا بأنها: هي الحذرُ من غَضبِ الله بِفعلِ ما أمَر به، والبُعد عَما نهاه، واستِحضَارِ اطلاعَهُ على العباد، قبل الإقدامِ على أي عمل، من ذلك شعار الصالحين:"الله معي، الله ناظر إليّ، الله شاهد عليّ"(ابن فضل الله، أحمد بن يحيى القرشي، مسلك الأبصار في ممالك الأمصار، ط١، (أبو ظبي، المجمع الثقافي)، ٩٥/٨)

التقوى في لمحة عامة:

في القرآن الكريم:

للتقوى إعتِبارٌ عظيمٌ عند الله سبحانه وتعالى، حتى أنها ذُكرت في القرآن الكريم في مائتين وستة وثلاثين موضعًا (ابن الهائم، التبيان في تفسير غريب القرآن، ص٤٧)، وجاءَ منهجُ القرآن الكريم في ذكَرِ التقوى كالاتي:

-الكلامُ عنِ المُتقينَ صراحةً، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [القلم: ٣٤]، وهو بيانٌ لمكانةِ المُتقِينَ في الآخرة.

- رفع الله سبحانهُ وتعالى منزلةَ المُتقين حين قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، وهي وصيةِ الله سبحانه لعِبادِة في كثيرٍ من مواضعِ القُرآن الكريم.

كما أنها ذُكرت بمعانٍ أخرى لتعزيز شمولية معناها مثل:

- شهادة أن لا إله إلا الله، من قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦] "قال: ثنا سعيد، عن قتادة، هي: شهادة إن لا إلة إلا الله".(الطيري، جامع البيان، ٢٢/ ٢٥٤)
- الإخلاص، ومنه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢،"فإنها من وَجَّلِ القُلوبِ من خشيةِ الله، وحقيقةُ معَّرِفتها بِعَظمتِه وإخلاص توحيه" (الطيري، ٦٢٣/١٨.)
- العبادة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١١]

"ومعنى أَلا يتقون أَلا يخافون عقاب اللهِ سبحانهُ، فيصَّرفون عن أنفسهِم عقوبة الله بطاعته" (الشوكاني، فتح القدير، ط١،(دمشق، دار ابن كثير،١٤١٤هـ)، ١١١/٤).

التوبة، حيث ذهب الرازي إلى تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:٩٦]، بمعنى أن حقيقةَ التَّقوىَ هي التوبة (يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب،ط٣، (دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)،٢٦٧/٢)

في السنة البنوية:

أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن تكون تقوى الله نصَّب عينِّي المؤمن في أمره كُلِه، من قوله لأبي ذرٍ(الذهبي، سير أعلام النبلاء ٤٦/٢، تصرف باختصار): "يَا أَبا ذر، اتقِ اللهَ حيثُ كُنت" (النيسابوري، محمد بن عبدالله، المستدرك على الصحيحين، ح١٧٨، ١/ ٥٤)، من هذه الأحوال:

- كان صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرا جَيشٍ أَو سَرِية، أوصاهُ في خاصتِه بِتقوى الله"(٥)، ويتضح هنا أنه أمر بأن يتقي الوالي الله في رعيته، وكل ما وليَّ المؤمن شأنه.
- كان صلى الله عليه وسلم إذا أراد السفر، يقول: "اللهم إنا نسألُك في سَفرِنا هذا البِر وَالتقوَى"(صحيح مسلم، ح١٣٤٢، كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره، ١٠٤/٤)، ويتضح هُنا أن التقوى في السفر من أبرز ما يجب على المؤمن مُلازمته، إذ انه يتعين على المسافر فيه تغيير مكانِه ودارِه، فَلعلهُ لا يَخشى فَضيحتهً إن عُرِفت عنه في بلادِ الغُربة، فالسفر قطعةٌ من العذاب، فيتطلب من المسلم الصبر والتحمل ابتغاء لرضى الله، وفي الحديث:"اتقِ اللهَ حيثُ كُنت" (النيسابوري، محمد بن عبدالله، المستدرك على الصحيحين، ح ١،١٧٨/٥٤).

في أقوال السلف:

أقام السلفُ الصالح حياتَهُم على التَقوى في السير والعَلن، واحثُّوا على العمل بمُقتضَاها، فمما ورد من أقوالهم في التَّقوى:

- سُئل على بن ابي طالب رضي الله عنه عن التَّقوى فقال:"هي الخوفُ من الجَلِيل، والعملُ بالتنزيل والقناعةُ بالقليل، والاستعدادُ ليوم الرحيل"(أرشيف ملتقى أهل الحديث، ٣١٣/٥٤)، فأرشد رضي الله عنه بهذا القول إن التَّقوى تقتضي أموراً، أولها مُراقبةِ الله في السرِ والعَلن، ثم الزُهدَ بالدُنيا، والعمل المُستمرِ بما أمر الله، استعداداً لمُلاقاته.
- سُئل الإمامُ الصَّادِق (سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٥٥/٦، بتصرف) عن تفسير التقوى، فقال: "ألا يفقِد الله حيثُ أمركْ، ولا يراكَ حيثُ نِهاك "(سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٥٥/٦، بتصرف.)، فيُصبِحُ الإنسانُ بها رقيباً على ذَاتِه لا تخطي قدماهُ إلا حيثُ أمر الله.

- دلَّت قِصةُ بائِعةِ اللَّبنِ على مدى تعَظِيمِ أميرِ المؤمنينَ عُمر بن الخطاب رضي الله عنه، لهذه الصَّفة، حِينما عَلِمَ بِخبرها في تقوى الله فجازاها بتزوجيها لأبنهِ عاصم (ابن الميرد، يوسف بن حسن الحنبلي، محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ط١، (المدينة النبوية، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية)، ١/ ٣٩١).

فمن خلال هذه النماذج يتبيَّن لنا اهتمامُ السَّلفِ الصَّلح بالتقوى قولاً وعملاً.

التقوى في سورة القلم:

ذكرت السورة بعضًا من صِفاتِ المُتقين، لِتكونَ نِبراسًا للسَّائِلين عَنها، من أبرزها:

صفات المتقين في بداية السورة:

الصبر في سبيل الدعوة، وهذا من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القلم:٣] أي:"وإن لك يا محمد لثوابا من الله عظيما على صبرك على أذى المشركين إياك غير منقوص ولا مقطوع"(الطبري، جامع البيان–تفسير الطيري، ٥٢٨/٢٣)، وهذا الصبر جاء محققاً لقوله تعالى: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، فكان الغرض من ذكر الله تعالى لأجر النبي صلى الله عليه وسلم تحفيز أمته أن يصبروا على الأذى في سبيل الدعوة إلى الله، لينالوا ثواباً مثله صلى الله عليه وسلم.

الثبات على الحق، من قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]

قال الطبيري:" ودّ هؤلاء المشركون يامحمد لو تلين لهم في دينك بإجابتك إياهم إلى الركون إلى آلهتهم" (الطبري، جامع البيان– تفسير الطيري، ٥٣٤/٢٣)، وهذا من قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤]، أي: "ولولا أن ثبّتناك يا محمد بعصمتنا إياك عما دعاك إليه هؤلاء المشركون من الفتنة، كدت تميل إليهم وتطمئنّ شيئا قليلا" (الطبري، المرجع السابق، ١٧، ٨٠٥)

صفات المتقين من قصة أصحاب الجنة:

مراقبة الله في السِّر والعلن، وهذا متضمنٌ فعل أصحاب الجنة، حينما اتفقوا على منع اخراج ثمر الجنة في الخفاء، قال تعالى: ﴿ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾ [القلم:٢٣]

أشارت القصَّةِ لأحد صِفات المتقين، من خلال قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨]،

يعني: أعدلهم (الطبري، المرجع السابق، ٥٥٠/٢٣)، أي أن العدل هو أحد صفات المتقين الذين وعدهم الله بجنته.

الأمر بالمعروف وانكار المنكر، وهذا استنتاجٌ من قول أخوهم العادل: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨]،

جاء في تفسير النسفي: "كان أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله، وتوبوا عن هذه العزيمة"(النسفي، عبد الله بن أحمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل،3 /٢٢٥).

الإقلاع عن الذنب وعدم الإصرار عليه، وهذا نقيض ما فعلوه أصحاب الجنة: ﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ [القلم: ٢٥]، أي "وغدوا على أمر قد قصدوه واعتمدوه"(النسفي، ٥٢٢/٣)

التوكل على الله، من خلال ردِّ الفعل إلى مشيئته سبحانه دائماً، قال تعالى: وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ [القلم ١٨]، أي "ولا يقولون إن شاء الله"(الطبري، ٥٤٢/٢٣.).

ثمرات التَّقوى من سورة القلم:

جاء وعدُ الله عز وجَّل للمُتقينَ بجنات النعيم، أي:"بساتين النعيم الدائم(الطبري، جامع البيان– تفسير الطبري،٥٥٢/٢٣)" فقال: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [القلم: ٣٤].

- لكن البعض ذهب إلى أن ثوابَ المُتقين يكون في الأخِرة فقط، وهذه النَّظرة تُخالف ما عرضته السورة الكريمة، فأشارت إلى بعض آثار التقوى على المُتَّقي في الدنيا، منها:
- سببٌ لقيام المُتقي بعبادته على أكمل وجه، فيقصد بالمتقين من قوله ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [القلم ٣٤] هم: "الذين اتقوا عقوبة الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه" (الطبري،٥٥٢/٢٣) فجاءت الآية بقوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥]، ليطمئن المؤمن المُتقي أنه لن يساوى بمن أجرم.
- سببٌ للرفع من قدر المُتقي، قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:٣٦]
- وهذا يحتمل شأنه في الدنيا والأخرة، لعموم تفسير الطيري بقوله: "فإنهما لا يستويان عند الله، بل المطيع له الكرامة الدائمة، والعاصي له الهوان الباقي"(الطبري، ٥٥/٢)
- وفي الأخرة وعد الله سبحانه وتعالى المُتقينَ بالجنة والنعيم الدائم، كما جاء في صريح الآية من سورة القلم: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [القلم: ٣٤].

في ضوءِ ما سبق، يمكن القول: التَّقوى هي أمُ الفضائِل والصَّائِنُ الأول لِبناءِ مُجتمعٍ صالب ومُتماسِك، جاء في ثنايا سورة القلم ذكرٌ لصفات المُتقين، التَّقوى صِفةٌ مُحفزةٌ لِأداءِ الواجِبات دُون تَقاعُسٍ (الفيروز آبادي، القاموس المحيط،1 / 48) أو رِياء (ابن منظور، لسان العرب،8 / 166)، أكدت سورة القلم على أن المُتَّقي لا يَلقىَ إلا خيرًا في الدُنيا وفي الأخرة.

تعرفُ العدل لُغةً واصطلاحًا:

في اللُّغة يُقال إن العِدلِ هو: الإنصاف، وهو إعطاءُ المرءِ مَا لهُ وأخذ ما عليه (مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، باب العين،2/ 588)، والعَدْل: ما قام في النُّفوسِ أَنه مُستقيم، وهو ضِدُ الجَوْر (لسان العرب، فصل العين المهملة،٣/٤٣٠)

إذا يتمحور التَّعرِيفُ المصدرِي للعدل، حول المُفردَاتِ: الإنصَاف، والاستِقامة.

وفي الاصطلاح الشَّرعي، قال الجُرجاَنِي أن العَدْل: "عبارة عن الاستِقامة على طرِيقِ الحق، بالاجتناب عمَّا هو محضورٌ دينًا" (الجرجاني، علي بن محمد الشريف، التعريفات، ط1، (لبنان–بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٤٠٣هـ–١٩٨٣م)، ص٤٧). والعدل في اصطِلاحِ الفُقهاء: من اجتنَبَ الكبائِر، ولم يُصِرُ على الصَّغائِر، وغَلُبَ صوابه، واجتنب الأفعالَ الخسِيسِة"(الجرجاني، ص٤٧). ومما سبق يتضح أن العدل في مُجملِه هو: الاستِقامَة على طريقِ الصَّواب، بإتباعِ الأوامر دون التعدي عليها، أو الميلِ عنها، اجتنابا لوقوع الظلم.

العدل في لمحة عامة:

في القرآن الكريم:

جَاء القُرآن الكريم بالعَديد من الآياتِ التي من شَأنِها حثُ المُسلمِين بالعدل واجتناب ما يُودي للظلم، ومن ذلك:

في الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل ٩٠]، أمرٌ صريحٌ من الله للمُسلمين بِوضعِ الأمورِ في نِصابِها وإقامة العدل.

قال تعال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١، "أي وجعلوا لهُ شريكًا وعدلاً"(ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ط2، (دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420 هـ –1990 م)، ٣/ ٢١٤)، وهذا تقريعٌ (التقريع :التوبيخ، يُقَال :قرع فلان فلانا بعصا الملامة إذا بالغ في عذله، ولذلك قيل للتوبِيخ تقريع)، يُنظر :لسان العرب، ابن منظور، 15 / 66) لأهلِ البَاطِلِ على إختِلالِ مَوازِينِهم، وأن عَدلهُم كان مذمُومَا ونوعهُ مشئُومَا، حتى أنُهم جَعلوا لله نظيراً يُقابله، فَهُم بهذا الفِعل ساووا بين الخالقَ ومخلُوقاتِه، تعالى الله عن هذا علوًا كبيرَ.

قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧–٨]، فيُجازِي بالعدل كُلٌ بِقدر عَملِه، وإن كان بوزنِ الذَّرة.

في السنة النبوية:

ضرب لنا صلى الله عليه وسلم المَثَلِ الأعلىَ في إقامَةِ العدل، ومن ذلك:

- فيما رَوتهُ عائشة – رضي الله عنها – أن قُريشًا أَهمَهُم شأنُ المرأة المِخزومِية التي سرقت، فقالوا ومن يُكلِمُ فِيها رسُول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا ومن يجتَرِئ عليهِ إلا أُسامة بن زيد حِبُ رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم فكلمَهُ أُسامةُ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتشفعُ في حدٍ من حدودِ الله ؟ ثم قال فأختطَبَ فقال: "إنما أَهلكَ الذينَ قبلُكُم أنهُم كانُوا إذا سرق فِيهِمُ الشَّرِيفُ تركوه، وإذا سرقَ فِيهِمُ الضعِيفُ أَقامُوا عليهِ الحد، وأيمُ اللهِ لو أن فَاطِمَة بِنت مُحمدٍ سرقت لقطعتُ يدها" (صحيح البخاري، ح 4753، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان،4 / 175 ، (متفق عليه)أخرجه مسلم في صحيحه (١١٤/٥) برقم (١٦٨٨).
- فبيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أن من أسبابِ هلاكِ الأُممِ السَّابِقة هو التساهل في المظالم، فنبذ بقسمه هذا الفعل حينما أكد أن لو أحب النَّاسَ سَرق لأقامَ عليه الحد، فلا مَجالَ للتَوسطِ في حدٍ من حدودِ الله.
- رغَّب صلى الله عليه وسلم بالتّعامُلِ على أساسِه، فيقول: "إن المُقسِطين عندَ اللهِ على منابِرَ من نُور، عن يَمِينِ الرَّحمن عز وجل، وكِلتا يديهِ يمينٌ، الذين يعدِلُون في حُكمهِم وأهلِيهِم وما وِلّوا"(صحيح مسلم، ح1827 ، كتاب الامارة، باب فضيلة الامام العاد وعقوبة الجائر،6 / 7 ، اخرجه ابن حبان في صحيحه(٤٤٨٤)، والحاكم في مستدركه(٧٠٩٨) ، والنسائي في المجتبى (١/٥٣٩٤).)، والمُقسِطِين: أي العادلين (المعجم الوسيط، باب القاف،2 / 734)، فحثَّ صلى الله عليه وسلم بالعدلِ في كُل جَوانِبِ الحياة، بكره صلى الله عليه وسلم منزلةَ الإنسان العَادِل عند الله عز وجل.

في أقوال السلف:

كان السَّلفُ الصَّلِح خير خلفِ لخيَّر سلف، فأقاموا حياتهم على العدل إتباعاً لمَنهجِ النبي صلى الله عليه وسلم، من هذا:

- قال عمرو بن العاص(الذهبي، سير أعلام النبلاء،٣/٥٤ – ٧٧، بتصرف): "لا سلطان إلا برجال، ولا رجال إلا بمال، ولا مال إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بعد (الاندلسي، العقد الفريد، ط1 ، (بيروت دار الكتب العلمية، 4140 هـ)، ٣٣/١)"، وفي هذا دليلٌ على أن المُجتمعُ بِمُجمَله لا يقومُ إلا على العدل.
- يقول ابن تيمية:" إن اللهَ يُقِيمُ الدَّولةُ العادِلةُ وإن كانت كافرة، ولا يُقِيمُ الظَّالمة وإن كانت مُسلِمة" (ابن تيمية، مجموع الفتاوى،(المدينة النبوية، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م) ،2 / 146)، وفي هذا القول دليلٌ على الدور المهِم الذي يَقُومُ بِه العدلُ في حِفظِ أمان المُجتمع، حيثُ أنهُ به تُحفظ للناس حُقوقِهم، لضمانِ استمرارِ الحياة في المجتمع.

العدل في سور القلم:

يُمكن إيرادُ أهم مَواضع العدل الالهي الواردة في سورة القلم كالاتي:

- عدل الله تعالى في ثنائه على أهل الاحسان، وعلى رأسهم النَّبي، يقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) القلم: ٣- ٤، وذمَّ أهل السوء في الآيات: فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩) وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ [القلم ٨ – ١٣]
- وفيما بينها جاءت الآية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القلم:٧]، بميزاناً عظيم يُعرف به أهل الفضل من أهل الظلم، أي: "إن ربك يا محمد هو أعلم بمن ضل عن سبيله، كضلال كفار قريش عن دين الله، وهو أعلم بمن اهتدى، فاتبع الحق" (الطبري، جامع البيان، ٥٣٢/٢٣)
- ابتلى الله سبحانه وتعالى كفار قريش المكذبين الذين صدوا عن دعوة النبي بالنعيم والرزق ومن ثم استدراجه لهم حيثُ يلقون العذاب، لقوله تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم ٤٤ – ٤٥]، وها كما ابتلى الله من قبلهم أصحاب الجنة بإغترارهم بجنة ابيهم وصدهم عن إخراج الزكاة للمحتاجين، قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [القلم:١٧، أي: "إنا بلونا هؤلاء المكذبين بالخير وأمهلناهم، فاغترارهم بذلك نظير اغترار أصحاب الجنة"(السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص88)، فعدل الله عز وجلَّ بعقابهم لإرتكابهم ذات الذنب، وليس هذا فحسب، ولكن يخبرهم الله غز وجل بالعِّقابِ الأشد في الآخرة لقوله: ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٣٣]، أي "كمَا عذبنا هَؤُلَاءِ وأنزلنا بهم، كَذَلِك نعذب قُرَيْشًا وننزله بهم"(السمعاني، تفسير السمعاني،6 / 26).
- عاقب اله تعالى أصحاب الجنة حينما حرموا الفقراء من حقهم من ثمر الجنة، بأنه حرمهم من جنتهم، في قوله تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ [القلم: ١٩- ٢٠]
- وهذا تحقيقٌ لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧]، فبين الله تعالى أن ميزانه دقيق لا يختل.

- قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم ٣٥-٣٦]، أي:"نسوي بَين المْسُلمين وَ الْمُشْرِكين فِي إِعْطَاء جنَّات النَّعيم، وَهُوَ مَذْكُور على طَرِيق الْإِنْكَار أَي: لَا يفعل كَذَلِك." (السمعاني، تفسير السمعاني،/ 27)
- فيخاطب الله تعالى مشركو قريش بقول: "أتجعلون المطيع لله من عبيده، والعاصي له منهم في كرامته سواء" (الطبري، ٥٥٢/٢٣)، فبيَّن اله تعالى شؤم حكمهم وأنهم ليسو من أهل العدل، فتوعدهم الله بالهلاك في قوله: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم:٤٥]
- من منطلق الجزاء من جنس العمل بيَّن الله عدله بعقابه الدقيق في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ القلم ٤٢، بأنه سلب المعرضين قدرتهم على السجود يوم القيامة وذكر السبب في الآية التالية بقوله تعالى: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم: ٤٣]، "وقد كانوا في الدنيا يدعونهم إلى السجود له، وهم سالمون، لا يمنعهم من ذلك مانع، ولا يحول بينه وبينهم حائل"(الطبري، جامع البيان، 23 /560)
- أوضح الله سبحانه وتعالى في الآية بقوله: ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ [القلم:٤٩]
- أنه لا يضيع أجر المحسنين الصالحين،فجاء من بيان عدله قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الانبياء: ٤٧]
- "فلا يظلم الله نفسا ممن ورد عليه منهم شيئا بأن يعاقبه بذنب لم يعمله أو يبخسه ثواب عمل عمله، وطاعة أطاعه بها، ولكن يجازي المحسن بإحسانه، ولا يعاقب مسيئا إلا بإساءته" (الطبري، 18 / 451)، فهو عادل غير ميزانه معهم، ولا ينسى عملهم الصالح،فجاز يونس عليه السلام، بدعائه في قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الانبياء: ٨٧] بأن اصطفاه وجعله من عباده الصالحين (السمعاني، تفسير السمعاني، 6/ ٣١): ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القلم:٥٠]

وفي ضوء ما تقدم، يتَّضِحُ أن: جاء الحث الصريح على العدل في القرآن الكريم في مواضع عديدة، ضرب النبي صلى الله عليه وسلم، أعلى الأمثلة على إقامة العدل، حين أقسم لو أن أُقرب الناس إليه سرق، لأقام عليه الحد، العدل الإلهيَّ هو العَدلُ الأكمل، فيُجازي الله عز وجل كلٌ بمقدار عمله وإن كان بمثقال ذرة.

الصفات المذمومة في سورة القلم في ضوء الثقافة الإسلامية:

الكذب وكثرة الحلف:

التعريف بالكذب:

- "الكذِبُ نقيضُ الصِّدق، تقول كذَّبت الرجل إذا نسبته غلى الكذب وأكْذَبتُه إذا أخبرت أن الذي يحدث به كذب"(ابن منظور، لسان العرب،1 / 704)، ومنه قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣]، والافتراء هو: "اختِراعُ قضيةٍ لا أصل لها"
- ومنه قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]، أي "المداهنة من الدهان وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه" (السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ط1، (القاهرة، مكتبة الآداب)، ص٢٠٧).
- ومنه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]، "الزور لغةً: الميل. والمراد به الكذب" (ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 528 / 10)
- إذا فالكذب في المعنى اللُّغوي يدور حول العديد من المفردات، منها :الافتراء، المداهنة، الزُّور.
- الكذب اصطلاحًا: هو الإخبارُ بالشَّيء على خِلافِ ما هو عليه، سواء كان عمدًا أم خطأً " (ابن حجر، 1 / 201)، بمعنى أن الكذِبَ لا يُشترطُ فيه العَمد إلا في حصول الإثم عليه، من ذلك ما يسمى بالكذب الإجتماعي أو المجاملة(عطية بن محمد سالم، شرح الأربعين النووية، (دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية)، 46 / 11).

الكذب في لمحة عامة:

في القرآن الكريم:

جَاء الكثيرُ من الآيات بذم صِفة الكذب والنَّفير منها في مواضِعَ مُتعددة، منها:

- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥]، أي إنما يليقُ افتراءُ الكذب بمن لا يُؤمن، لأن تكذيبُ آياتِ الله أعظمُ الكذِب (النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل،2/ 235)، وهذا تأكيدٌ على أن الكذب ليس من صفات المؤمن السَّوي.
- حذّر سبحانه وتعالى من شهادةِ الزُّور، والتي هي شَكلٌ من أشكالِ الكذِب، قال تعالى: ﴿لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾

[النور: ١٣]، فجعلِ الله عز وجَّل شهادةُ أربعة شُهود، هي الفيصل لثُبوتِ شهادتِهم، وبانتِفائِها يتمُ نفي التُهمة، كما جاء في سببِ نزول هذه الآية عن الذين قذفوا عائشةَ- رضي الله عنها -فلم يكُن لديهم بيِّنة، فبطُلت دعواهُم، وكانوا عند الله كاذبون.

- أخبر الله عز وجَّل أن الكذِب من صِفات المُنافقين، في قوله: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۘ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]
- وفي جزاءُ الكاذب، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الجاثية: ٧]، أي:"الويلُ وَادٍ في جهنَّم، يهوى الكافِر فيه سبعينَ خريفا، وَقَوله: {لكل أفاكٍ أثيم} أَي: كَذَّاب فَاجر"(السمعاني، تفسير السمعاني، 5 / 135).

وفي السنة النبوية:

جاءت السنة النبوية بنبذ صِفة الكذب بشكل كبير، وذم الرسول صلى الله عليه وسلم الكذَّاب في كثير من الأحاديث، منها:

- قيل لَرسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "أيكونُ المُومن جباناً؟، فقال :نعم، فقيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟
- فقال :نعم، فقيل لهُ :أيكون المؤمنُ كذابًا ؟ فقال :لا "(مالك بن انس، موطأ الامام مالك، ح ٣٦٣٠، الكلام، ما جاء في الصدق والكذب، 5 / 1441)، وفي هذا دِلالةٌ واضحة على أن المُؤمن ليس بكاذب، فقط من ضعُف إيمانه، ودفعتهُ نفسه للشر، هو من يكذب.
- قال رسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم:" كفى بالمرءِ كذبًا أن يحدثَ بكل ما سمع" (صحيح مسلم، ح5 ، مقدمة – باب النهي عَنْ الحديث بكل ما سمع،٨/١)، ذهب ابن الجوزي أن فيه تأويلان:
  - "**أحدها:** أن يروي ما يَعلمَهُ كذبًا ولا يبينه، فهو أحد الكاذبين.
  - **الثاني:** أن يكون المعَّنى بحسبِ المرءِ أن يكذب لأنه ليس كلُ مسموعٍ يُصدق به فينبغي تحدِيثُ النَّاسِ بما تحتمِلهُ عُقولِهم: (ابن الجوزي، جمال الدين، كشف المشكل من حديث الصحيحين ،(الرياض، دار الوطن)،٣٤٠/١)
- أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن صِفات المُنافق، فقال: "آية المنافق ثلاثٌ..." وكر مِنها "إِذَا حدث كذب"(صحيح البخاري، ح ٣٣، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، / 16 1)، فمن كان حديثهُ مُختلق، وكثُر به الكذب، كان منافقًا خالصًا.

في أقوال السلف:

لم يغَّفل السَّلفُ الصَّالح على أن يبُثوا في أنفسِ الأمة نبذُ كُل ما هو ذَمِيم، فكان لنَبذِ الكذِب جانبٍا ليس باليسير من أقوالهم، ومن أشهرها:

- قال عمر بن الخطاب" :أن يضعنِي الصِدقُ وقلما يفعل، أحب إلَّي من أن يرفعنِي الكذِب وقلما يفعل" (الماوردي، علي بن محمد، أدب الدنيا والدين، (دار الحياة)، ص ٢٦٣)، وهنا فضَّل أميرُ المؤمنينَ أن يُحَطُ من منزِلتِه وهو صادق، على أن يعتلي قدرُهُ كاذبًا، في إشارةٍ منه لنُدرةِ ما يُقلَلَ من شأن الصَّادِقِ صدقهُ.
- قال عبداللهِ بن مسعود (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/٢٨٠-٣٠٦، تصرف باختصار):"إن الكذب لا يصلحُ منه جدٌ ولا هزل"(أحمد بن حنبل، مسند الامام أحمد بن حنبل، ح ٣٨٩٦، مسند عبد الله بن مسعود،7 / 10)، أي أن الكذب لا يُقبَلُ أن يكُونُ بِعُضر المزاح ابدًا.
- قال الأحنف (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤/٨٦-٨٧):"اثنانٌ لا يجَّتمِعان أبدًا :الكذبُ والمروءة "(ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، عيون الاخبار،(بيروت، دار الكتب العلمية)،2 / 32)، فالمروءة تقتضِي الإعتراضُ عن كلِ دنيء، والكذبُ يُناقِضُ هذا المفهوم إذ أنه لا يدعو إلا لشِر أو فساد.

والكثير من الأقوالِ التي تُظهِرُ نبذ صِفةِ الكذب عند السَّلفِ رضي الله عنهم، فتشهدُ لهم أقوالهم هذه أنهم نبذو الكذب ودعوا إلى عدم التَّحلي بها.

الكذب في سورة القلم:

- قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ* أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ* إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ *أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٦- ٣٩]، فهنا يسأل الله تعالى كفار قريش بطريقة الاستنكار،" ألكم أيها القوم بتسويتكم بين المسلمين والمجرمين في كرامة الله كتاب نزل من عند الله أتاكم به رسول من رسله بأن لكم ما تَخَيَّرون، فأنتم تدرسون فيه ما تقولون، هل لكم أيمان علينا تنتهي بكم إلى يوم القيامة" (القرطبي، جامع البيان، 23 /553)، وبهذه الآيات فضح الله تعالى المكذبين فبيَّن أن تكذيبهم للحق لم يكن إلا كبراً وعناداً، ولهذا اختتم هذه الآيات بقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [القلم:٤١]

"فمن المعلوم أن جميع ذلك منتف، فليس لهم كتاب، ولا لهم عهد عند الله في النجاة، ولا لهم شركاء يعينونهم، فعلم أن دعواهم باطلة فاسدة" (السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير

الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط2، دار السلام للنشر والتوزيع، ص880)، فدل سكوتهم على كذبهم.

- قال تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: ٢٣ – ٢٤]، من المعلوم أن الله تعالى هو الحاكم بالعدل، فيعاقب من يكذب به، مستدرجاً له إلى العذاب، وهذاما بينته الآية من سورة القلم: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٤٤]، أي " سنكيدهم من حيث لا يعلمون، وذلك بأن يمتعهم بمتاع الدنيا حتى يظنوا أنهم متعوا به بخير لهم عند الله، فيتمادوا في طغيانهم، ثم يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون" (الطبري، جامع البيان، 23 / ٥٦١).
- بيَّن الله تعالى كذَّب المشركون في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم عندما اتهموه بالجنون، قال تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ [القلم: ٥]، فجاء رد الله عز وجل لهم في الآية: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [القلم:٥٢]، أي:" وما محمد إلا ذكرٌ ذكَّر الله به العالَمَينِ الثقلين الجنَ والإنس "(صحيح البخاري، ح7 ، بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله،1 / 8 ،(متفقٌ عليه)،أخرجه مسلم في صحيحه(١٧٧٣))،

فلا يمكن أن تكون رسالة مجنونٍ عالمية، ولا يمكن لمجنونٍ أن يزداد أتباعه يوماً بعد يوم، كما جاء في سؤال هرقل لأبو سفيان" :فأشراف النَّاس يتبعونه أم ضُعفاؤهُم؟ فقلت :بل ضعفاؤهُم. قال: أَيَزِيدُون أَمْ يَنقصونَ؟ "فأنتهى الحوار بقول هرقل" :بل يزيدون فَإِنْ كان مَا تَقول حقا فسيملكُ موضعَ قدميَّ هاتين"(٤)، فلو كان مجنوناً ما كان لملكٍ كهرقل أن يقرر نبوته، ولما يهديه ملك مصر المقوقس الهدايا (يُنظر :ابن حجر العسقلاني، الاصابة في تمييز الصحابة، ط1، (بيروت، دار الكتب العلمية)،6/ 297)، وما كان لهذا الشأن أن يؤرقهم، قال تعالى: ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص: ٦]،" أي :إن هذا القول الذي يقول محمد، ويدعونا إليه، من قول لا إله إلا الله، شيء يريده منا محمد يطلب به الاستعلاء علينا، وأن نكون له فيه أتباعا ولسنا مجيبيه إلى ذلك" (الطبري، المرجع السابق،21 / 152)، فدل كل هذا على كذبهم في ادعائهم جنون النبي صلى الله عليه وسلم.

كثرة الحَلف:

التعريف بالخَلف:

- **الحَلف في اللُّغة** هو :اليمين، قال الفيومي" :سمُي الحَلف يمينًا لأنهم كانوا إذا تحالفوا ضرب كُل واحدٍ مِنهم يمينهُ على يمينِ صاحِبِه" (الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير،2 / 681)
- **قال ابن منظور:** "الحَلِف: اليمنين وأصلها العَقدُ بالعزم وَالنية، وأَصل الحِلْف المُعاقدة والمُعاهدة، فما كان منه في الجاهلية على القتال بين القبائل، فلك الذي ورد النَّهيُ عنه في الإسلام بقولِه صلى الله عليه وسلم: "لَا حلف في الْإِسلام"(صحيح البخاري، ح2294 ، كتاب الكفالة، باب قول الله تعالى والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم، ٣/ ٩٦)
- "**القسم معناه:** التَّعظِيمُ للمُقسِمِ به على شيءٍ يؤكِدُه صاحبه" (محمد حسن عبد الغفار، شرح كتاب الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق لابن تيمية،9 / 8).
- إذا فالحَلف في المعنى اللَّغوي يتمحورُ حول المفردات :اليمين، العهد، والتعظيم.
- وفي الشَّرع :هو توكيدُ الحُكمِ بِذِكرِ مُعظَّمٍ على وجهٍ مخصُوص(محمد حسن عبد الغفار، المرجع السابق،٩/ 8)، ولا مُعظمٌ غير الخَالِق عز وجَّل.

كثرة الحَلف في لمحة عامة:

في القرآن الكريم:

عظَّم الله سبحانه وتعالى مسألة الحَلف به، وجعل له مكانةً عظيمةً أوجبَ على عبادِهِ عدم لاستهانة بها، وجاء في ذلك آياتٌ عديدة، منها:

- قال تعالى: ﴿يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٨٩]، يأمُرُ الله تعالى هُنا بِحِفظِ اليمين، ذلك لأن كثرتِها تُودي لانعدام تعظِيمُ الله جَّل وعلا في القلَّب، "والحِكمةُ في الأمرِ بتقلِيلِ الإيمان، أن من حَلف في كُلِ قليلٍ وَكَثيرٍ بالله، إنطلق لِسانَهُ بذلك ولا يبقى لليمِنينِ في قلبه وقع" (الرازي، مفاتيح الغيب،/ 425).
- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٤]، بمعنى لا تجعلوا الحَلف بالله يحولُ بينكُم وبين صلةِ رحمٍ، أو أداءٍ لمعروف، أو عفوٍ وغيرها من أمورِ البِرَّ التي فرضها الله تعالى عليكم.

هدىُ النبي صلى الله عليه وسلم في تعظِيمِ مسألة الحَلف:

بالرَّغمِ من أن قومهُ نعَّتوهُ بالصَّادقِ الأمين، إلا أنهُ كان صلى الله عليه وسلم لا يحلِفُ إلا على عظِيم مُهِم، فلا يسترسِلُ ولا يستَهِيُن به، ومن ذلك:

- كانتِ يمينُ النَّبي صلى الله عليه وسلم تدُلُ على تَعظِيمِ الأمرِ المِحلوفِ به، فهيَّ كما حددها ابن حجر: "أربعَةُ ألفاظ، أحَدُها والذي نفسي بيدِه، ثانِيها لا ومُقلِبِ القلوب، ثالِثُها والله، رابِعُها وربُّ الكعبة" (ابن حجر العسقلاني، فتح الباري،11 / 526)، وهذه صِيغُ مُبالغةٍ يتَضِحُ أن المراد منها عدمُ بذَّلِ اليمينِ إلا في المقامِ الَّذي يستَدعي التعظِيمُ فيه.
- قال النَّبي صلى الله عليه وسلم: "إذا حلف أحدكُم على اليمين، فرأىَ خيرًا مِنها، فَليُكفِرها و ليأتِ الذي هو خير"(صحيح مسلم، ح1651 ، كتاب الْأيمان، باب ندب من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر ح عنْ يمينه،٥/ 86)، أي أن اليمِينُ التي تَمنعُ البِّر يجِبُ قطعُها بتكفيرها، والإتيانُ بالأخْيَّرِ منها، لِذا يجِب عدم الحَلف على ما أحلهُ الله غز وجل.

أوصاف الحَلاف في سورة القلم:

فيها جاء من تفسير وصف الحلَّلاف بالُهين: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾ [القلم:١٠]

- ضُعف الإيمان، كما جاء في الحديث" : إن الإيمانُ ليَخلَقُ في جوفِ أحدِكُم كما يَخلَقُ الثوب، فاسألوا الله أن يُجدد الإيمان في قلوبكم "(النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ح، كتاب الإيمان، الأمر بسؤال تجديد الإيمان، ٤/١)، فيتأكد هنا أن الإيمانُ يزِيدُ وينقُص، فإن تناقص وَجَبَ تجَّدِيدُه، ثم إن أحد الأسباب المؤديةِ لضُعفِ الإيمان كِثرة الحَلف بالله، كم جاء في تفسير وصف الله تعالى بالمهين، لمن يُكثر الحَلف":المهِينُ الكاذِب، وهو الضَّعيفُ القلب"، فهو يؤدي لرِقة الإيمان في قلب المؤمن، ومن تعظيم الله تعالى، ألا يُكثِر المؤمن من الحَلف (اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، فتاوى اللجنة الدائمة–1،(الرياض، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء)، 23 /138).
- المهانة والخِسة، بأن وجَّه البعض" معنى المهين إلى الكذّاب، وأحسبه فعل ذلك لأنه رأى أنه إذا وصف بالمهانة فإنما وصف بها لمهانة نفسه عليه، وكذلك صفة الكذوب، إنما يكذب لمهانة نفسه عليه" (الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 23 / ٥٣٤)، وهذا نابعٌ من ضُعف حُجَّته، فيخشى أن يُفضح كذبه وضُعفه بين النَّاس، فيُعظمه بإقترانه بالحَلف، ليتعاظم شأنه، وهذا ما كان عليه الوليد بن المغيرة وهو الذي نزل فيه هذا الوصف.
- قلة الثقة بالنفس، وهذا لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عنه في البيع في قوله: "الحَلفُ مَنفِقةٌ للسلعة، مُمْحَقةٌ للبركة"(صحيح البخاري، ح2087، كتاب البيوع، باب يمحق الله الربا

ويربي الصدقات، ٣ / ٦٠)، "والمرادُ من محقِ البركة، عدم انتفاعِه بهِ دينًا" (الطيبي، شرف الدين، شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن، ط1، (مكة المكرمة– الرياض، دار نزار)، لأن مظَّنةَ كثرة الحَلفِ عند أهلِ السُّوقِ والبَاعةِ، لجذَّبِ الزَّبائِن، والرَّفعِ من قِيمةِ السِلع، فيَشعُرُ البائع أنهُ لن يُصدق إلا عند تعظيم سلعته، فيلجأُ إلى الحَلفِ بالله، وبهذا تقل ثقته بما لديه، فلو كانت سلعته جيدة، لأثبتتها جودتها، وما أحتاج لتعظيمها، وبين صلى الله عليه وسلم عظم هذا الفعل من خلال ذكر جزاء من يكثر الحلف بقوله صلى الله عليه وسلم: "ثَلاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ"، وذكر منهم: "وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَةً، لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ"، "فهو يُكثر من الحِلف بالله تهاوُناً، فكان جزاؤه هذا العقوبات الثلاث: لا يكلِّمه الله، ولا يزكِّيه، وله عذابٌ أليم"(الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، ط ٣، (مؤسسة الرسالة)،٢/275).

ضعف مقاومة الشهوات، وهذا لأن" :كثير الحلف، ناقص الهِّمة، إرادته في شهوات نفسه الخسيسة (السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص879)، فأثبت العلماء أن الحلاف لا يخرج عن كونه مَّهين (النسفي، عبد الله بن أحمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ٣/٥٢٠)، لا يثبت على الحق، فيلجأ إلى الحَلف، ليُظهِر قوته أمام شهواته وما هو بذلك، وهذا منهج القرآن الكريم في فضح العصاة المكذبين بآياته عز وجَّل، فالمؤمن الصادق لا يحتاج إلى أن يثبت حديثه بكثرة الحَلف. وكل هذه الاوصاف عُنِّيت للوليد بن المغيرة، باعتباره نموذجاً لأخبث أنواع الشرّ النفسي والاجتماعي في الطبائع البشريّة، وهي لا تقع إلا ممن تولّى حياة الدناءات، وعاش فيها، وهانت عليه إنسانيّته، وانثلمت كرامته، وانعدمت من النفوس الثقة به، واشتهر بينهم بالكذب والغشّ والخداع والخيانة (المرصفي، سعد، الجامع الصحيح للسيرة النبوية، ط1 ، (الكويت، مكتبة ابن كثير)،٤/١٠٥٥– ١٠٥٤).

في ضوء ما تقدم يمكن القول:

الكذب صفة دنيئةٌ، ليست من فطرة المؤمن السَّوي، فتُهينُ صاحِبُها بين الناس، وتُميتُ مروءَته.

الكذب ليس من فِطرةِ المؤمن:

- صُرِح بجزاء الكذب في القرآن والسنة في كثيرٍ من المواضع، وجاءت سورة القلم مبينةً أن الله يجازي المكذبين بإستدراجهم من خلال إمتاعهم في الدنيا ومن ثم يلقو العذاب في الآخرة.
- جاء المنهج الإلهي في سورة القلم بقصد فضح كذب المشركين وبيان إدعائاتهم الباطلة.

- الحَلفُ يعني إنعقادُ النِّية وتأكِيدُها بعَظِيم، والله عز وجَّل هو العَظِيم، فلابُدَّ من توظِيفِ هذه اليمينُ فيما تستحِق، لا أن يُستشهدَ بها في أمرٍ من الأمورِ الدُّنيويةِ الزائِلة.
- لم يحَلفُ الرَّسولُ صلى الله عليه وسلم إلا في عَظائِمُ الأمور، فكان من الواجِبِ على أُمتهِ من بعدِهْ أن يتَّبِعو هديهُ في حِفظِ أيمانهُم.
- جاءت سورة القلم مبينةَ أن من يكثر الحلف لا يكون إلا على أسوء الأخلاق والصِّفات.

وسائل التعليم والقيم الثقافية المستنبطة من سورة القلم:

المنهجُ التعليمي في سورة القلم:

تعريف المناهِج: مُشتقةٌ من مصدر الفِّعل نَهجَ، والنَّهْجُ: الطَّرِيقُ المُستقِيمُ (ابن منظور، لسان العرب ٣٨٣/٢)، والمنهاج: "فإنّ أصله: الطريقُ البيِّن الواضح " (الطبري، جامع البيان، ٣٨٤/١٠) ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨]، أي: " لكل قوم منكم جعلنا طريقاً إلى الحق يؤمُّه، وسبيلا واضحاً يعمل به (الطبري، ٣٨٤/١٠).

المنهج الإلهي التعليمي المذكور في سورة القلم:

تميز المنهج التعليمي في سورة القلم بأساليب محكمة، جاءت كالآتي:

- **صِناعةِ القُدوة الحَسنة:** يجِدُ القارِئ فِي حياةِ العُظَماء مِن البشَّر، أنَّ كُلاً في جانبٍ مُعينٍ من الصِّفات، فنِهُم من يُضربَ به المثلُ في الحياء كعُثمان، وبالكرَمِ كحاتِم الطَّائي، وبالحِلم كالأحَنف، لكن لَم تجتمِعُ لبشرٍ كُل هذهِ الخِصالِ الحميدة على قدرٍ من الانتِظام كما انتظمت لرسول –صلى الله عليه وسلم–، وجاءَ الحثُّ للمؤمنين بالتَّأسي بأخلاقِ النَّبي –صلى الله عليه وسلم–، من خلال ثَناءُ اللهِ عز وجَّل على أخلاقه، بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، أي: "وإنك يا محمد لعلى أدب عظيم، وذلك أدبُ القرآن الذي أدّبه الله به، وهو الإسلام وشرائعه" (الطبري، ٥٢٨/٢٣)، فصنَع الله تعالى بهذهِ الآيةِ أجَلى وأسمى قُدوة في الأخلاق.
- مُخاطبةِ النَّبي–صلى الله عليه وسلم:–جَاء الغرض مِن خِطاباتِ القُرآنِ الكريم للنَّبي مُحتمِلةً لعِدةِ وجوه، يُذكر منها خطابُ التأديب للمؤمنين(د.حسين، أحمد نوري ؛ د. الزاهدي، عماد أموري جليل، وجوه خطاب الله عز وجل للنبي محمد في القرآن الكريم، جامعة ديالى، كلية العلوم الإسلامية، قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م، ص٩٤)،

وذلك من خِلالِ أمرُ النَّبي –صلى الله عليه وسلم– بعدمِ طاعةِ مَن يتَصفُ بالصِّفات المذمومة التي ورد ذكرها في الآيات بقوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ* وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ*وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ* مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ * أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ* إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [القلم ٨–١٥] فإن كان الخِطاب في ظاهِرةِ موجةٌ للنَّبي –صلى الله عليه وسلم– لفظاً فهو موجةٌ في حُكمِه للمؤمنين عامة، وهذا من خلال أن قرن الله تعالى طاعته بطاعة نبيه من قوله: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠]

وبه يكون المِنهج التعليمي في القرآن قد عززٌ نبذُ الصِّفاتِ المذمومَة لدىَ المُؤمنين، والعملُ بِما يقتضِيهِ خِلافُها من الأخلاقِ الحَسنة، باتباعهم أمر الله الذي أمر به نبيه –صلى الله عليه وسلم–.

- استخدام أسلوب الوعظ: وهذا من خلال عرض قصص السابقين، وهذا من أشهر أساليب القُّرآن الكريم في التعليم، لقوة تأثيرها على النَّفس، وذلك مِن خِلالِ الاعتِمادِ على إيصال القارئ إلى بُغضِ أحَوالِ مَن ذمَّهم الله مِن خِلالِ بيانِ حُججِهم البَّاطِبة، وكراهيةِ أن يكونَ في مِثل حالهم، لا سيما عند عرض مصيرهم في النِّهاية، كما أنها تُفيدُ في سُرعةِ إسقاطِها على واقِعِ المُتلقي، لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]

فذُكرت في سورة القلم أبرز قصتين فيها قِصَّة أصحابُ الجَّنة، وجزءٌ من قِصَّة يونس – عليه السلام–وذلك "من باب التسلية والاعتبار"(جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية، خصائص السور، ٩٥/١٠).

ومن أهم القيم المُستنبطة منها:

القِيم المُستنبطة مِن قِصَّةِ أصحابُ الجَّنة:

- تعظِيمُ شأنِ قِيمة مُراقبة الله في السِّر و لعلن، وأنه محيطٌ بكل ما خَفِيٍّ عن الأنظار، وذلك حينما عقدوا مؤامرةَ قطف ثِمار تِلك الجَّنة في الخَفاء عِند الفَجر قبل مجيء الفُقراء، قال تعالى: ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾ [القلم: ٢٣]
- والعلة في هذا: "خوفاً أن يسمعهم أحد فيخبر الفقراء "(السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص ٨٨٠)، ولكن الله الذي لا تخفى عنه خافية، سمِعهم وكما استغفلوا الله بالخفاء، أنزل عليهم العذاب وهم نائمون، قال تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [القلم ١٩]،

أي: "أنزل الله تعالى عليها ناراً فأحرقتها، في حال نومهم"(النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ٥٢١/٣).

- أهمية مجالسة الصالحين، من قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ القلم ٢٨، فلا يخفى التأثير الكبير الذي يحدثه محيط جلساء الإنسان على ذاته وسلوكياته، وفي معنى أوسطهم، " أي: أمثلهم وأعدلهم وأعقلهم"(القرطبي، شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن – تفسير القرطبي، ط ٢، (القاهرة، دار الكتب المصرية)، ٢٤٤/١٨)، بيان على أنه كان يذكرهم بالرُّجوع عن فعلهِم المذموم.
- تعظيم شأن قيمة الرجوع عن المعصية قبل حصول العقاب، ببيان ما حال بهم عند إصرارهم على المعصية من خسارة دنيوية، لقوله تعالى: ﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ [القلم: ٢٥]
- فعاقبهم الله بأن خسروا جنتهم بإحراقها: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ [القلم ٢٠]، أي: "كالليل المظلم" (السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص ٨٨٠)

القيم المُستنبطة من إيراد جانب من قصة يونس–عليه السلام:

- تعزيز قيمة الصبر، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]
- وذلك أن أمر الله النبي –صلى الله عليه وسلم–بالصَّبر على قومه في دعوتِهم ولا يفعل كما فعل يونس –عليه السلام–حينما تسرَّع ودعا على قومه.
- تعظيم قيمة التوبة، لقوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ [القلم: ٤٩]
- وذلك بأن جعلها الله سبحانه سبباً لنجاة نبيه يونس –عليه السلام– من الهلاك في الدُّنيا والآخرة.

كما جاء بين ثنايا السورة الكريمة بعض القصص، والتي يمكن إيرادها كالاتي: قصة المعارضين من كفار قريش، لا لقناعات العقل أو الفطرة السوية ؛ بل تكذيباً واستكباراً.

وهذا يبين أنهم كالبهائم في اعراضهم، لا يستندون على براهين ثابته ولا مسلمات واضحة، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، أي: "لهؤلاء الذين ذرأهم الله لجهنم من خلقه قلوب لا يفتكرون بها في آيات الله، ولا يتدبرون بها ادلته على وحدانيته، ولا يعتبرون بها حُجَحه لرسله،

فيعلموا توحيد ربِّهم، ويعرفوا حقيقة نبوّة أنبيائهم،فوصفهم ربُّنا جل ثناؤه بأنهم: "لا يفقهون بها"، لإعراضهم عن الحق" (الطبري، جامع البيان، ٢٧٨/١٣).

قصة أحد اكبر سادات قريش، وهو الوليد بن المغيرة:

فجاءت السورة الكريمة بوصفة بابشع الاوصاف، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ* هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ* مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ* عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ* أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ* إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [القلم: ١٠-١٥]

"هذه الآيات تضمنت عّدة أوصاف وصف بها طاغية المادّية الوثنّية، تعييناً للوليد بن المغيرة باعتباره نموذجاً في الموضعين لأخبث أنواع الشرّ النفسي والاجتماعي في الطبائع البشريّة "(١)، وفي هذا تنفيرٌ من صفات الذمَّ التي اتصف بها.

قصة شدة بغض الكفار للنبي –صلى الله عليه وسلم–، من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم: ٥١]

من خلال ذكر شدة عداوة الكفار للنبي –صلى الله عليه وسلم–، فكانوا يسعون إلى أن يصيبوه بجسدهم لانتشار العين فيهم (القرطبي، المرجع السابق، ٢٥٤/١٨) وهذا لنبذ خُلق الحسد، فأخبر بشدَّة عداوتهِم النبِيَّ –صلى الله عليه وسلم–، وأرادُوا أن يصيبوه بالعين فنظر إليه قومٌ من قريش وقالوا: ما رأينا مثله ولا مثل حججه (القرطبي، تفسير القرطبي، ٢٥٤/١٨)

لذا كان على المؤمن أن يعتبر من هذه القصة بأن يتقي الله فيما يعجبه فيذكر أسمه تعالى، ولا يجعل للغلِّ في صدره منفذ.

اسقاط منهج في سورة القلم، على البيئة الأسرية:

هُناكَ الكثيرُ مِن البيئَاتِ التربويةِ الَّتي لا يمكن حصرَّها، ولكِن إكتفاءُ الباحثةِ للبيئة الأُسرية جَاء مِن مُنطلقٍ أنَّ الأُسرة (الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، ط٤، (بيروت، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع)، ٢٠/٤) هي اللَّبنَةُ الأولى في بِناء المُجتمع، والَّتي تُعدُ أول بيئةٍ تعليمية يكتسِبُ منها الأبناءُ تشكيلَ شخصياتِهم وتحديدَ هوياتِهم ويبرزدورهَا مِن خِلال تلقِي التوجيهاتِ السُّلوكيةِ مِن الوالدين، وهذا مِمَّا يُأكِدُ دورَهُما المؤثِر في التَّعليم، كما جَاء في الحَديثِ الشَّريف: "كل مولودٍ يُولد على الفِطرة، فأبواه يُهودانه، أو يُنصرانه، أو يُمجسانه" (صحيح البخاري، ح ١٣٨٥، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ١٠٠/٢).

ولعلَّ مِن أبرز الأساليب التي من الواجِبُ أن تَكُونُ نَصَّبَ عينيَّ الأباء،كما جاء في منهج سورة القلم:

- **الاهتمام بالقدوة الحسنة:** من المعروف أنَّ أولِ دُروس التَّعليم الَّتي يتلقاها الإنسانُ في حياته، تؤخذ من الَّقليد والاعتبار من التجارب السابقة، وهذا ما جاءت به السورة الكريمة،

بأن صنع الله عز وجل من خلق النبي–صلى الله عليه وسلم– للامة الإسلامية أعظم نموجاً في الاخلاق الرفيعة، وصنع لنبيه–صلى الله عليه وسلم– من قصة يونس –عليه السلام–، نموذجاً لأخذ العبرة من خلال نهيه عن الوقوع فيما وقع فيه يونس –عليه السلام–من قبله، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]، لذا يَجِبُ على الوالدين التركيز على بعض العادات الجَّيدةِ في حضرة أبنائهم، وإلزامهم بها صِغاراً لتنمو معهم، كتحديدِ الوِرد اليومي من القرآن الكريم، و المسارعةِ لإغاثة المُحتاج، والتصَّدُق على الفقراء، وتعويدهم على حسن إكرام الضيف وصلة الرحم، وعدم الكذب حتى في صغائر الأمور مما يعزز في انفسهم نبذ الكذب وتعظيم إقترافه

- **الصبر على الحوار مع الأبناء:** يتجنُّبِ أسلوبِ الزَّجرِ والعقِّاب المباشر، مِمَّا يُعزِز في أنفُسِهم مُراقبِة الله، وهذا ما اتبعه الأخ الصالح لأصحاب الجنة، فكان صبوراً على تذكير أخوته ولم يغصب عليهم، قال تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨]
- **فيزَيدُ الإيمانُ في قُلوبِهم، ويتجَّنبوا بِذلك بعضاً من الأخلاق المذمومة:** مثل الكذبِ في محاولة منهم لتفادي العِقاب، وكثرة الحَلف لتصديقهم في كُلِ الأمور، والإصرار على المعصية نتيجةً الزجر المستمر من قبل الأباء.

ونجد في حِوارات النَّبي –صلى الله عليه وسلم– منهج يتسم باللين لتصحيح الأخطاء، كما في القِّصة المِذكورة إذ جَاءهُ –صلى الله عليه وسلم– رجُلٌ فقال : يا رسول الله هَلكتُ، قال –صلى الله عليه وسلم:– ما لك ؟، وقعتُ على امرأتي وأنا صائِمٌ، فقال رسُول الله –صلى الله عليه وسلم:– هل تجِدُ إطعام ستين مسكيناً، قال: فهل: تستطيعُ أن تصُوم شهرين مُتتابعين قال، قال: لا، فقال: فهل تجِدُ إطعام ستين مسكيناً، قال: لا فمكث النَّبي –صلى الله عليه وسلم–، فبينا نحنُ على ذلك أتي النَّبي –صلى الله عليه وسلم –بعرقٍ فيها تمرٌ، والعرقُ المتكل، قال: أين السائِلُ، فقال: أنا، قال: خذها فتصدق به فقال الرَّجُل: أعلى فقر مني يا رسُول الله؟ فو الله ما بين لا بتيها يُريد الحرتين أهلُ بيتٍ أفقر من أهل بيتي. فضحك النَّبي – صلى الله عليه وسلم– حتى بدت أنيابه، ثم قال: "أطعمه أهلك" (صحيح البخاري، ح ١٩٣٦، كتاب الصوم، باب إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء فتصدق عليه، ٣٢/٣)، فصححَ النَّبي –صلى الله عليه وسلم– بهذا خطأ الرَّجُل بنقلِه من منطِقةِ الخَطأ إلى الصَّوابِ تدرِيجياً دونِ زجر.

منحَ الثِّقة: من خلال تنمية مَهاراتِهم وخصالِهم الحسنةُ البارزة فيهم، والَّتي سيقتدي بِها جِيلاً مِن بعدِهِم، وهذا ما بينته السورة الكريمة في قوله تعالى: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢]، أي:"قول تعالى ذكره لنبيه محمد –صلى الله عليه وسلم–: ما أنت بنعمة ربك بمجنون، مكذِّبا بذلك مشركي قريش الذين قالوا له: "إنك مجنون"(الطبري، جامع البيان، ٥٢٨/٢٣)، فعزَّز الله تعالى لدى نبيه –صلى الله عليه وسلم– الثِّقة في إكمال سير الدَّعوة، ومنحه الثقة لمواجهة إتهامات كفار قريش له، لأنه يعلم صِدقه.

ومن جانب آخر منحت السورة الكريمة الثقة بالله لكلِ مؤمن، بأنه لن يساوي بمن كفر، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القلم: ٧، إي: "إِنَّ اللهَ هُوَ الْعَالِمُ بِمنْ حَادَ عَنْ دِينِهِ، ويعلم الَّذِينَ هُمْ عَلىَ الْهُدى فَيُجَازِي كُلًّا غَدًّا بعملة" (القرطبي، تفسير القرطبي، ١٨/ ٢٣٠).

وهذا ما جاء به المعنى المتضمن للاستفهام الانكاري في قوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥]، بطمئنةِ كل مسلم عَبِدَ الله حق عباده، أنه لن يساوي بالمجرم.

استخدام اسلوب الوعظ: يُعدُّ هذا المِنهج مِن أنجحِ أساليب التَّعليم، هذا لأنهُ أحدَ أساليب القرآن الكريم التعليمية، التي هذَّب بها الله سبحانه وتعالى النَّبي –صلى الله عليه وسلم– وأمته، من خلال قصِّ قصص السابقين ليتعظوا بها، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]

ويمكن للمربين استخدام القِّصة لاستغلال إشباع فُضول الأبناء نحوَ تساؤلٍ مُين، أو لتعزيز عادةٍ جيدةٍ قاموا بها أو لتقويمِ ونبذ سلوكٍ خاطئ، من خلال إختيار القصص المُناسبة للموقف، لإثارة عاطفتهم الدينية.

وهذا ما سار عليه المِنهج الإلهي حينما أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– بعدم الغضب والتسرع بالحكم على قومه في دعوتهم، من قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]، بأن ذكر له حال يونس –عليه السلام– عنه غضبه على قومه، فساوى بهذا بين الموقفين.

في ضوءِ ما تقدم يُمكِن القول:

- جاء تعزيز القيم الأخلاقية في المنهج الإلهيِّ الوارد في سورة القلم، من خلال عرض المثل الأعلى في الخُلق الحَسن وهو خُلق النبي –صلى الله عليه وسلم–.
- أدَّب الله عز وجَّل المؤمنينَ من خلال خِطابِه لنبيه –صلى الله عليه وسلم– لفظاً، ولأمته من بعده حُكماً.

- الأسلوب القصصي من أبرز أساليب التعليم في القرآن الكريم، لتزكيةِ النَّفس، وأخذِ العِظة والعِبرة، فجاءت سورة القلم حافلةً بالقصص.

وسيلة الحوار في سورة القلم وأثرها في تعزيز القيم الثقافية:

التعريف بالحوار:

الحِوار في اللغَّة من الحَوَرَ والذي بمعنى الرُّجوع (ابن منظور، لسان العرب، ٢١٩/٤). "ويراد بالحوار والجدال في مُصطلح النَّاس مناقشةٌ بين طرفين، أو أطرافٍ، يُقصدُ بها تصحيح كلام، وإظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، ورد الفاسد من القول والرأي"(د.حميد، صالح بن عبدالله، دروس للشيخ صالح بن حميد، (دروس صوتية مفرغة)، ٢/٢٣).

الحوار في سورة القلم:

ورد اسلوب الحواري في سورة القلم في ثلاث مواضع رئيسية هي كالآتي:

- حوار الله تعالى مع نبيه –صلى الله عليه وسلم:–اتسم حوارُ الله عز وجل مع نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم–، في مَطلعِ سُّورةِ القلم بطابع اللِّين واللُّطف، وذلِك لمواساتِه على ما أثاروهُ حولهُ قومه، حينما اتهموه بالجُّنون، فجاءت المواساة الإلهية بقوله عز وجل: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢]، "وهَذا جَوابُ القسم وهو نفي، وكان المشركُون يقولون للنَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم– إنَّهُ مجنون"(القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٨/ ٢٥٥)

وجاء عرضُ القرآن الكريم لهذه الشّبهة التي أثاروها الكُفار حول دعوةِ النَّبي –صلى الله عليه وسلم–، في كثير من الواضع في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]

ثم إنَّ النَّاظِر في هذه الشبهة يجد أنَّ الله سبحانه وتعالى اكتفى بنفيها في كتابه الكريم دون تعليل؛ وذلك لأن حال النَّبي –صلى الله عليه وسلم– لا يتطَّلب دليلٌ على هذا فهو الصَّادِقُ الأمين لمُدة أربعينَ عاماً بين قومه بشهادتهم قبل ان يُبعث، فأكتفى الله تعالى في محاورتِه له بتثبيت قلبه، والتَّاكيدِ على أنَّ الدَّافِع وراء إتهامه له بالجنون ما هو إلا لتكذيبهم بما جاء به، حينما أمره بالإعراض عنهُم في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [القلم: ٨]

وأمره بأن يمضِيَّ قُدماً بإبلاغ دعوته، وانه سيظهر الحق لقوله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (٥) بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ [القلم ٥–٦]، أي "فسترى يا محمد، ويرى مشركو قومك الذين يدعونك مجنونا، بأيكم المجنون"(الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ١٠٥/٢٣).

- حوار أصحاب الجنة:كان حوار أصحابُ الجنَّة يتسم بالهدوء، وتقبل الأراء دون تعصُّب، مما أُنتج به تجربة تعليميةٍ هادفة، فبيَّنتْ الآية في سورة القلم من قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨]، أن أحد الأخوة لم يكن موافقاً أخوته على ما ينووا

فِعله من منعٍ لإخراجِ ثمر الجَّنةِ للمساكين، قال القرطبي: "وهذا يدلُّ على أنَّ هذا الأوسط كان أمرهُم بالاستثناء فلم يُطِيعوه"(القرطبي، ١٨/٢٤٤).

لكِنَّه لم يَغضب على إعراضهم لمحاورته لمحاورته لهم، بل ظلَّ يُذكِرهم، وتركهم يخوضون التجربة، فحينما رأوا اخوتُه خُسرانِهم بِسبب إصرارهم على الذّنب، واتضح لُهم سَديدُ رأيِّ أخيهم، سلموا لرأيه دون تعصُب، بقولهم: ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [القلم: ٢٩].

فوصل بهذا اخيهم إلى النتيجة المراد من تذكيره لأخوته، بأن تابوا بقولهم: ﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ [القلم: ٣٢].

حوار الله تعالى مع مُنكِريَّ دعوة النبي –صلى الله عليه وسلم–: (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٨/٢١٥)

استخدم الله عز وجَّل مع من أنكر دعوة نبيه –صلى الله عليه وسلم– اسلوب الاستفهام الانكاريِّ في مُحاورتِه لهُم، مِن خِلالِ تكرار طرحِ الأسئِلة الَّتي يَرُدُ جوابُها عليهم مِن ذاتِ إعراضِهم، بقوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ [القلم ٣٧] أي: " أَم لُهم شُركاءُ مِنِ الأَصنام والأندادِ فلْيأتوا بشُركائهم إن كانُوا صادِقين"(ابن كثير، المرجع السابق، ٨/٢١٦).

فكان الغَرضُ من تِكرارِ الاستفهامات الانكاريةِ هذه؛ تأكيدُ بطلانِ إنكارهم لدعوة النَّبي – صلى الله عليه وسلم– من خلال إلجّامِهم عن الرَّد، وإن أجابوا، سَيَّشهد جوابُهم كذِبهُم.

فجاء نجاح الحوارات الواردة في سورة القلم مُمتمثلاً في:

- إثبات بطلان دعوى الكاذبين: في حال السكوت عن الرَّد، كما كفارُ قريشٍ حينما كرَّر الله تعالى عليهم الأسئلة في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ* إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ* أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ * سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ* أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ القلم ٣٧–٤١]
- تسليمُ من حاورهم: كما سلَّم أصحابُ الجَّنةِ حينما رأوا العذاب بأعينهم في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ [القلم:٢٦]

ولعلَّ من أبرز القيم الثقافية التي يُعزِّزها الحِّوار النَّاجِح:

الحكمة: وهذا ما أرشدنا الله تعالى إليه من خلال طرح الأسئلة الانكارية في السورة الكريمة، فكانت نابعة من حكمته تعالى وعلمه بكذبهم، فكان العلم والحكمة من أهم ضوابط إقامة الحوار، والذي اشارات له السورة في مطلعها، بإقسام الله تعالى بأداة الكتابة: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ [القلم: ١]

فيهذب العلم العقل بفن الردِّ المحكم المبني على حجج وبراهين مُلجمه كما علَّم الله تعالى نبيه –صلى الله عليه وسلم– بأن يرد على المشركين بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

ومما يؤكد على أهمية أسلوب الحوار في التربية، هو استخدام الله عز وجل له في كثير من مواضع في القرآن الكريم، والذي جاءَ حافِلاً بالعديدِ من الحِوارات، كحِوارات الله تعالى مع أنبيائه– عليهم السلام –، وحوارِه مع إبليس حينما أبي السجود لأدم عليه السلام، وغيرها الكثير من الحوارات الواردة في القرآن الكريم.

التسامح: يقوم الحوار على الاختلافات، فقد يخرج أحد المتحاورين عن سياق الحوار إلى الخصام والتمادي فيه، فكان لا بد على المسلم المحاور، مسامحته بعدم رد الإساءة، ويضرب لنا في هذا الجَّانب النبي صلى الله عليه وسلم مثلًا ساميًا، حينما أُتهموه قومه بالجنون بدعوته لهم،قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم: ٥١] فما كان منه إلا أن دعا لهم بقوله صلى الله عليه وسلم: "اللهمَّ اهد قومِي فإنهُم لا يعلمُونَ" (الأحاديث المختارة، ح2 ، من اسمه عبد الله – عبد الله بن عباس بن عبد المطلب،10 / ١٣، (انفرد به المصنف)).

الحِلم: قد يحدُّ الحِوار ليصِل إلى مرحلِة التَعصُّبِ فيه، وقوة التَّمسُكِ بالرأي، وهذا ما نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عنه بذكر تعجل يونس عليه السلام بغضبه على قومه، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]، أي: "لا تعجل كما عَجِل، ولا تغضب كما غضب" (الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن،٢٣/٥٦٣)، وفي هذا الحَال يبرُر مدى إلتزام المُسلمِ بحديثِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، حِينمَا قال: "ليسَ الشَّديدُ بالصُّرعة، إنَّما الشَّديدُ الَّذي يَملِكُ نَفسَهُ عِند الغضَب"(صحيح البخاري، ح 6114، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب،8 / 28).

حِفظُ اللِّسان:

جاء الأمر بتحري القول الحسن في جميع أحوال المسلم، من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة:٨٣]

فإن من آكدِ تحرية عند وجود فُرصةً للنِّزاع، وبما أن الحوار قائمٌ في أصلِه على الاختلافات ومحاولة تقبُلِها وحلِها، تتأكد فُرصةِ الشَّيطانُ لينزع بين المُتخاطبين، قال تعالى:

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء:٥٣]

وهذا ما اقترف نقيضه الوليد بن المغيرة، حينما استهزء بالقرآن الكريم صلى الله عليه وسلم ووصفه بأساطير الأولين(القرطبي، تفسير القرطبي،١٨/٢٣٦)، قال تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [القلم: ١٥]

لذا كان من الواجب أن يلتزمُ المسلم في حواره بالأدب وانتقاء ألفاظه، حتى مع عدم اقتناعه بالرأي الأخير.

وفي ضوءِ ما تقدَّم، يمكن القول:

- تضّمنت سورة القلم لثلاثِ حوارات رئيسية، حوار الله تعالى مع النبي صلى الله عليه وسلم، وحوار أصحاب الجنة بين بعضهم، وحوار الله تعالى لمنكري الدعوة من كفار قريش.
- من أهم مقومات نجاح الحوار الالهي في سورة القلم، هو تحديد الغاية من الحوار، فكان الهدف من محاورة الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم مواساته للإقدام في إبلاغ الدعوة، والهدف من حِوار أصحابِ الجَّنة حُصولِ التَّوبةِ والرُّجوعِ عن الذنب، والهدف من حوار الله مع المنكرين لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم اثبات بطلان انكارهم.
- يعد أسلوب الحوار من أبرز أساليب التربية، إن طُبق وفقاً لضوابطه.
- يمكن للحوار أن يهذب النفس البشرية من خلال تعزيزه لبعض القيم الأخلاقية.

أهم النتائج:

وفي نهايةِ هذا البَحث تَمَّ التَّوصُلِ إلى النَّتائِج التَّالية:

- جاءت سورة القلم بالحثِّ على تحري المؤمن صفة التقوى في شأنه كُلِه، ببيان ما أعده الله سبحانه وتعالى للمتقين من نعيم.
- جاءَ الأمرُ بالتَّعامُلِ على أساسٍ من العدل في سورة القلم بصورةٍ غيرِ مُباشرة، وذلِك من خِلالِ بيانِ العَّدلِ الإلهيِّ عن طريق الاستفهام الانكاري في الآية من قوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم:٣٥]
- اقتضى الحثُ على صفة التأني في سورة القلم، باستفهامٍ إنكاري في الآية: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٦]، تضمَّنت معناهُ العملُ بما يُناقِض الفِعل المذموم.
- جاء نبذُ الصِّفات المذمومة في سُورةِ القلم مِن خِلالِ أمرُ الله سبحانه وتعالى بعدمِ طاعةِ من يتَّصِفون بهذه الصِّفات، الوارِد ذِكرُها على التَّرتيب: الكذِب، وكثرة الحَلف، والهمزُ والمشُّي بالنميمة، والبُخل، والظُّلم.

- جاء المنهج الإلهي التعليمي في سورة القلم، بتعزيز القيم الثقافية، من خلال ابتاعه أساليب مُحكمة، بعرض خُلقِ النَّبي صلى الله عليه وسلم مثلاً أعلى للاقتداء الأخلاقي، ومن ثُمَّ مخاطبته صلى الله عليه وسلم تأديبًا لأمته من بعده،واستخدام أسلوب الوعظ.
- البيئة الأسرية تُعد بيئةٍ خصبة لغرس القيم الثقافية، وذلك لأنها أول بيئة يتواجد بها، متأثرًا بوالدية فيها.
- أكدت نتائج الحوارات الواردة في سورة القلم على أنَّ قوة الحجة هي الضابط الأول للوصول إلى الهدف المرجو.

أهم التوصيات:

توصى الباحثة في خاتمة هذا البحث بما يلي:

- زيادةُ الإهتمام بمسألِة التَّحلي بقيم الثقافة الإسلامية السامية عامةً، والتركيزِ على الصِّفات التي جاء الأ/ر بالتحلي بها في سورة القلم، والابتعاد عما نهى الله منها.
- على المجتمع– بكافة بيئاته التربوية– العمل على استغلال وسائل التعليم لتعزيز قيم الثقافة الاسلامية، وخاصةً ما جاء في سورة القلم من صِفات، والقضاء على كل ما يؤدي إلى ما ذُمَّ منها.
- زيادة الجُهود البحثية في مجال تعزيز القيم الثقافية، من خلال النَّظر في المضامين التربوية من سور القرآن الكريم.

المصادر والمراجع

أولاً– القرآن الكريم.

ثانياً– علوم القرآن والتفسير:

ابن تيمية، تقي الدين، ١٤٠٤هـ، دقائق التفسير الجامع، ط١، مؤسسة علوم القرآن.

ابن كثير، إسماعيل بن غمر الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع.

السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، ٢٠٠٢م \١٤٢٢هـ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط٢، دار السلام للنشر والتوزيع.

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، ١٤٢٣ هـ، المفردات في غريب القرآن، ط١، دمشق، دار القلم.

ابن الهائم، أحمد بن محمد، ١٤٢٣ هـ، التبيان في تفسير غريب القرآن، ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

الطبري، محمد بن جرير الآملي، ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م، جامع البيان في تأويل القرآن، ط١، مؤسسة الرسالة.

الشوكاني، محمد بن علي، ١٤١٤هـ، فتح القدير، ط١، دمشق – بيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب.

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التيمي، ١٤٢٠ هـ، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، ط٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

البيضاوي، ناصر الدين عبدالله بن أبي القاسم عمر بن محمد بن أبي الحسن، ١٤١٨ هـ، أنوار التنزيل، وأسرار التأويل، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، التبيان في أقسام القرآن، بيروت، دار المعرفة.

القرطبي، يوسف بن عبدالله، ١٤١٤هـ /١٩٩٤م، جامع بيان العلم وفضله، ط١، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي.

النسفي، عبدالله بن أحمد، ١٤١٩هـ /١٩٩٨م، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، ط١، بيروت، دار الكلم الطيب.

السمعاني، منصور بن محمد بن عبدالجبار ابن أحمد المروزي، ١٤١٨ هـ/١٩٩٧ م، تفسير السمعاني، ط١، الرياض، دار الوطن.

مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط للقران الكريم، ط١، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.

الهلالي، مجدي، ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م، تحقيق الوصال بين القلب والقرآن، ط١، القاهرة. مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة.
القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، ١٤١٨ هـ، محاسن التأويل، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.
الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م، البرهان في غلوم القرآن، ط ١، بيروت، دار إحياء الكتب العربية.
القرطبي، شمس الدين، محمد بن أحمد، الأنصاري الخزرجي، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، الجامع لأحكام القرآن – تفسير القرطبي، ط٢، القاهرة. دار الكتب المصرية.
ابن عاشور، محمد الطاهر التونسي، التحرير والتنوين، (تونس، الدار التونسية للنشر).
جعفر شرف الدين، لموسوعة القرآن خصائص السور، ط١، (بيروت، دار التقريب بين المذهب الإسلامي).
ثانياً– كتب الحديث وعلومه:
البخاري، محمد بن إسماعيل، ١٤١٧هـ /١٩٩٧م، صحيح البخاري، ط١، دار السلام.
النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
النيسابوري، محمد الطهماني، ١٤١١هـ /١٩٩٠ م المستدرك علي الصحيحين، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.
السجستاني، سليمان بن الاشعث، سنن ابي داؤود، ط١، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
المدني، مالك بن أنس، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م، أبو ظبي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية.
أبو بكر البيهقي، أحمد بن الحسين الخراساني، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣ م، سنن البيهقي الكبرى، ط٣، بيروت، دار الكتب العلمية.
الترمذي، محمد بن عيسى بمن سَوُرة بن موسى بن الضحاك، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥ م، سنن الترمذي، ط٢، مصر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
ابن حبان، محمد بن حبان التميمي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، صحيح ابن حبان، ط ٢، بيروت، مؤسسة الرسالة.
ابن كثير، اسماعيل بن عمر، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، البداية والنهاية، دار الفكر.
بن عثيمين، محمد بن صالح، ١٤٢٦ هـ، شرح رياض الصالحين، الرياض، دار الوطن للنشر.

المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، ط١، بيروت، دار الهلال.
ابن حجر، أحمد بن محمد، ١٣٧٩ هـ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة.
الطحاوي، أحمد بن محمد، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، شرح معان الاثار، ط١، عالم الكتب.
النووي، محيي الدين، ١٣٩٢هـ، شرح صحيح مسلم، ط ٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
القاري، محمد بن سلطان، ١٤٢٢ هـ /٢٠٠٢م، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط١، بيروت، دار الفكر.
أحمد بنحنبل، أحمد بن محمد، ١٤٢١هـ /٢٠٠١، مسند الامام أحمد بن حنبل، ط١، مؤسسة الرسالة.
الطيبي، شرف الدين، ١٤١٧هـ /١٩٩٧م، شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن، ط١، مكة المكة – الرياض، دار نزار مصطفى الباز.
إبن قرقول، ابراهيم بن يوسف الحمزي، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، مطالع الأنوار على صحاح الآثار، ط١،دولة قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
ابن الاثير، مجد الدين أبو السعادات، جامع الأصول في أحاديث الرسول، ط١، مكتبة دار البيان.
ابن ابي الدين عبدالله بن محمد البغدادي، ١٤١٠ هـ، الصمت وآداب اللسان، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي.
البخاري، محمد بن إسماعيل، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، الاداب المفرد، ط٣، بيروت، دار البشائر
الكوزاني، أحمد بن اسماعيل الحنفي، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري. ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
المقدسي، ضياء الدين، ٢٠٠١م، الأحاديث المختارة، دار خضر للطباعة والنشر.
ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، المغرب، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية.
السيوطي، عبدالرحمن بن ابي بكر، تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، مصر، المكتبية التجارية الكبرى.
الرفاعي، صالح بن حامد بن سعيد، عناية العلماء بالإسناد وعلم الجرح والتعديل وأثر ذلك في حفظ السنة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
المرصفي، سعد، ١٤٣٠هـ /٢٠٠٩ م، الجامع الصحيح للسيرة النبوية، ط١، الكويت، مكتبة ابن كثير.

ثالثاً- كتب التوحيد والعقيدة:
ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، بيروت، دار الكتب العلمية.
ابن القيم الجوزية، محمد بن ابي بكر، ١٤١٦ هـ /١٩٩٦م، مدارج السالكين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ط٣، بيروت، دار الكتاب العربي.
القحطاني، سعيد بن على بن وهف، نور الهدى وظلمات الضلال في ضوء الكتاب والسنة، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان.
ابن عثيمين، محمد بن صالح. ١٤٢٤هـ، القول المفيد على كتاب التوحيد، ط٢، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي.
الفوزان، صالح بن فوزان بن عبدالله، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، ط٣، مؤسسة الرسالة.
رابعاً- كتب الدعوة:
محمد إمام، محمد علي، ٢٠٠٥م، كلمات مضيئة في الدعوة إلى الله، ط١، مصر، مطبعة السلام.
رؤوف شلبي، الدعوة الإسلامية في عهدها المليكي: مناهجها وغايتها، ط٣، دار القلم.
خامساً- كتب الفقه والفتوى:
ابن تيمية، تقي الدين، ١٤١٦هـ/١٩٩٥ م، مجموع الفتاوى، المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
البهوني، منصور بن يونس، الروض لمربع شرح زاد المستنقع، دار المؤيد، مؤسسة الرسالة.
الجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، فتاوى اللجنة الدائمة -١، الرياض، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء.
الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، إشترك في التأليف: الدكتور مُصطفى الخِنَّ ؛ الدكتور مُصطفى البُغا؛ علي الشَرَّجبي ١٤١٣هـ /١٩٩٢ م، ط٤، بيروت، دار القلم للطباعة والنشر والتوزع.
سادسًا- كتب معاجم اللغة والأدب:
إبراهيم مصطفى؛ وأحمد الزيات ؛ وحامد عبد القادر؛ ومحمد النجار، مجمع للغة العربية بالقاهرة، ٢٠١١م، المعجم الوسيط، ط٥، دار الدعوة.
ابن منظور، محمد بن مكرم، ١٤١٤هـ، لسان العرب، ط٣، دار صادر.
الرازي، أحمد بن فارس، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م، معجم مقاييس اللغة، دار السلام.

الرازي، محمد بن أبي بكر،١٤٢٠هـ /١٩٩٩م، مختار الصحاح، ط٥، بيروت، المكتبة العصرية، الدار النموذجية.
الكفوي، أيوب بن موسى، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، بيروت – مؤسسة الرسالة.
العسكري، الحسن بن عبدالله، الفروق اللغوية، مصر، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع.
الفيروز آبادي، مجد الدين، ١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م، القاموس المحيط، ط٨، بيروت، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
الجوهري، إسماعيل بن حماد، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط٤، بيروت، دار العلم للميلايين.
المناوي، زين الدين، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، التوقيف على مهمات التعاريف، ط١، القاهرة، علم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت.
ابن عبد ربه الأندلسي، شهاب الدين، ١٤٠٤هـ، العقد الفريد، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.
الجرجاني، علي بن محمد الشريف، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، التعريفات، ط١، لبنان – بيروت دار الكتب العلمية.
الجوهري، أسماعيل بن حماد، ١٤٠٧هـ/٩٨٧م، الصحاح– تاج اللغة، ط٤.
الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت، المكتبة العلمية.
الحميري، نشوان بن سعيد، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ط١، بيروت، دار الفكر المعاصر.
ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم الدينوري. ١٤١٨هـ، عيون الاخبار، بيروت، دار الكتب العلمية.
السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٤م، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ط١، القاهرة، مكتبة الآدب.
النويري، أحمد بن عبدالوهاب، ١٤٢٣هـ، نهاية الأدب في فنون الأدب، ط١، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية.
رينهارت بيتر آن دُوزِي، ١٩٧٩م/٢٠٠٠م، تكملة المعاجم العربية، ط١، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والاعلام.
الزبيدي، محمد بن محمد الحسيني، تاج العروس، دار الهداية.
احمد قبش، أحمد قبش محمد بن نجيب، مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي.

سابعاً- كتب التراجم والأعلام
الزركلي، خير الدين، ٢٠٠٢م، الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين.
الذهبي، شمس الدين، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، سير أعلام النبلاء، ط٣، مؤسسة الرسالة.
ابن سعد، محمد بن سعد البغدادي، ١٤١٠هـ /١٩٩٠م. الطبقات الكبرى، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.
ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن البغدادي، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م، ذيل طبقات الحنابلة، ط١، الرياض، مكتبة العبيكان.
ابن حجر ١٤٢٢هـ، أحمد بن علي العسقلاني، كتاب نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الاثر، ط١، الرياض، مطبعة سفير.
ابن الجوزي، جمال الدين، صفة الصفوة. ط١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، مصر، دار الحديث.
ابو الفضل القاضي، عياش بن موسى اليحصبي، ١٩٨١/١٩٨٣م، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ط١، المغرب، مطبعة فضالة.
محسن عقيل، ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م، من أروع ما قاله الامام الصادق، ط١، دار المحجبة البيضاء.
الحمداني، ياسر بن أحمد بن محمود، حياة التابعين.
ابن الاثير، محمد الشيباني، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، أسيد الغابة في معرفة الصحابة، ط١،دار الكتب العلمية.
عفيف عبدالرحمن، ٢٠٠٠م، معجم الشعراء العباسيين، ط١، بيروت، دار صادر.
عبدالوهاب عزام، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، (مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
بن خلكان، شمس الدين، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ط٠-١٩٠٠، بيروت، دار صادر.
الشنتريني، علي بن بسام، ١٩٨١م، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ط١، ليبيا- تونس، الدار لعربية للكتاب.
المقبل، عمر بن عبدالله بن محمد، ١٤٣٥هـ، مواعظ الصحابة – رضي الله عنهم، ط١، الرياض، دار المنهاج للنشر والتوزيع.
الذهبي، شمس الدين، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، محمد بن أحمد بن عثمان قايماز، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ط٢،بيروت، دار الكتاب العربي.
ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، ١٤١٥، الاصابة في تمييز الصحابة، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.

العمران، علي بن محمد بن حسين، تكملة الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون، ط١، مكة، دار عالم الفوائد.
الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، المعجم الأوسط، القاهرة، دار الحرمين.
ابن فضل الله، أحمد بن يحيي القرشي، مسالك الأمصار، ط١، أيوب ظبي، المجمع الثقافي.
ابن المبرد، يوسف بن حسن الحنبلي، حمض الصواب في فضائل أميلا المؤمنين عمر بن الخطاب، ط١، المدينة النبوية.عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.
ثامناً– كتب الأخلاق والسلوك:
الظاهري، علي بن أحمد، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ط٢، بيروت، دار الآفاق الجديدة.
سامي الدروبي، ١٩٦١م، علم الطباع المدرسة الفرنسية، (دار المعارف بمصر).
أبو شنار، أحمد محمد، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م،فضائل الأخلاق في ضوء الكتاب والسنة، ط١، دار المعتز للنشر والتوزيع.
الماوردي، علي بن محمد البغدادي، ١٩٨٧م، أداب الدنيا الدين، دار الحياة.
تاسعاً– كتب البحث العلمي:
العساف، صالح حمد، ١٤٠٩هـ، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، ط١، الرياض، شركة العبيكان.
الدغيمي، محمد راكان، ١٤١٧هـ، أساليب البحث العلمي ومصادر الدراسات الإسلامية، ط٢، عمَّان، مكتبة الرسالة.
عاشرًا – الموسوعات:
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٠٤هـ/١٤٢٧هـ، الموسوعة الفقهية الكويتية، ط٢، الكويت، دار السلاسل.
جعفر شرف الدين، ١٤٢٠هـ، الموسوعة القرآنية خصائص السور، ط١، بيروت، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية.
حادي عشر– الرسائل العلمية:
محمد شريف الإسلام، ٢٠١٣م، ارتباط الاخلاق الفاضلة بالدعوة، جامعة المدينة العلمية، كلية الدعوة واصول الدين، كوالالمبور.
أماني رفعت؛ حميدة عبد السميع، دراسة تحليليه لبعض المشكلات السلوكية في شركات السياحة، جامعة المنوفية، كلية السياحة والفنادق، ٢٠١١/٢٠١٢م.

د. حسين، أحمد نوري؛ د. الزاهدي، عماد أموري جليل، وجوه خطاب الله عز وجل للنبي محمد في القرآن الكريم، جامعة ديالى، كلية العلوم الإسلامية، قسم علوم القرآن والتربية الاسلامية، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

ثاني عشر – الدوريات:

القريشي، د. علي، التقوى وإشكالات الاختلاف والوحدة في الإطار الإسلامي: دراسة تربية، مجلة المسلم المعاصر، (العدد:٩٩)، ٢٠٠١م.

توفيق، ميمي محمد عبد المنعم، شبكات التواصل الاجتماعي: النشأة والتأثير، مجلة كلية التربية في العلوم الإنسانية والأدبية، جامعة عين شمس، (العدد: ٢٤)، ٢٠١٨م.

الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، مجلة البحوث الإسلامية.